« هبني، يا إلهي، نعمة التألّم، وأنا أحبّك، ونعمة حبّك وأنا أتألّم.
أُحبُّك، يا مخلّصي لأنّك صُلبتَ من أجلي...
وأُحبّكَ، يا إلهي، لأنّك تصلبني في هذه الدنيا، من أجلك...
هَبني نعمةَ الموت، وأنا أُحبّكَ، شاعرًا بحبّي لك... »

القدّيس ڤنسان دي پول

(مار منصور)

مقتطفاتٌ من خواطر
القدّيس ڤنسان دي پول

(مار منصور)

جمعها وترجمها
أديب مصلح

٢٠٢٠

طبعة أولى

٢٠٢٠

جميع الحقوق محفوظة للمؤلّف

منشورات المكتبة البولسيّة

جونيه – شارع القدّيس بولس – ص. ب.: ١٢٥

هاتف: ٠٩/٩١٢٥٩٣ – ٠٩/٩٣٣٠52 – فاكس: ٠٩/٦٤٣٨٨٦

بيروت – شارع لبنان – هاتف: ٠١/٤٤٨٨٠٦ – تلفاكس: ٠١/٤٤٤٩٧٣

زحلة – شارع سيّدة النجاة – مُقابل مُطرانيّة الروم الملكيّين الكاثوليك – تلفاكس: ٠٨/٨١٢٨٠٧

• "إنَّ الفكرَ الصوفيّ،

هو الذي أتانا بأعظَم فَاعـلٍ عَلى الأرض...

القدّيس ڤِنسَان دي پول".

الأب هنري بريمون

تمهيدٌ

من هو القدّيس ڤـــنسان دي پـــول؟

هو ابنُ فلاّحٍ فرنسيٍّ فقيرٍ، رعى، في صغره، بهائمَ ذويه وجيرانهم، إلى أن أصغى والده إلى نُصح محامٍ قريبٍ للأُسرة، لمس لدى الفتى نباهةً تؤهّله للبروز، فدفعه والده إلى التعلّم، ووجّهه صوب الكهنوت، لعلّه يتسلّقه سلَّمًا إلى ترقٍّ اجتماعيٍّ ينقذه من العوَز والمهانة. وفي هذا السبيل ضحّى ذلك الفلاّح بفدّان ثيرانٍ، مساهمةً في تغطية نفقات دراسته حتّى بلوغ الكهنوت، الذي نال ڤـــنسان سرَّه، في سنّ العشرين. وكانت قد تراكمت عليه الديون، فراح يسعى إلى منصبٍ كنسيٍّ يوفّر له مقوّمات العيش، ويمكّنه من سداد ديونه، شيئًا فشيئًا. ولكنّه اصطدم، في هذا المسعى، بخيباتٍ لاذعةٍ.

ومن حيث لم يتوقّع ومَضت له بارقة فرجٍ، فاقتنصها، ولكنّه لم ينعم بها سوى سُوَيعاتٍ معدوداتٍ، وكانت سبب وقوعه بين أيدي قراصنةٍ، جرحوه، وخطفوه، وسلبوا مالَه، وباعوه في سوق النخاسة، في تونس، حيث تَعاقَب ثلاثة أسيادٍ على استعباده، فأوسعه أولُّهم اضطهادًا، وعلّمه ثانيهم أمورًا عجيبةً في الكيمياء وطبّ الأعشاب،

وساعده ثالثهم على الفرار والانعتاق، وعاد به إلى فرنسا، ومنها إلى روما، حيث أمضى نحو سنةٍ، اختبر، في خلالها، دهاليزَ المدينة الخالدة، وانتشى بطيب شهدائها وقدّيسيها، واقتدى بقداسة رعاتها الصالحين، واستنكرَ سلوكَ الذين شوّهوا، بسلوكهم المشين، مبادئ الصفاء الإنجيليّ، وانتهكوا قداسة الرسالة التي انتُدِبوا لها.

وأتاحت له إقامته في روما إتمام دراساته اللاّهوتيّة، فاستمع إلى كبار اللاّهوتيّين، واختلف إلى الجامعات الكبرى، وزار المشافي والمراكز الخيريّة، وتلقّن من العاملين فيها سخاء البذل، وبطولة العطاء، واقتبس من مثالهم شعلة الشغف بخدمة يسوع في أشخاص إخوته الفقراء، والمرضى، والضعفاء، والمهمّشين، وتدرّب على أساليب غوث المرضى والمحتاجين مجّانًا، إكرامًا للربّ، وعملاً بوصاياه؛ وعقد علاقاتٍ مع قادةٍ كنسيّين ووطنيّين، أمسوا له، لاحقًا، خيرَ داعمين لمشاريعه الكبرى.

ولّما عاد إلى فرنسا، مكلَّفًا بنقل رسالةٍ سرّيّةٍ إلى الملك، كافأه الملك بإيعازه إلى طليقته الملكة "مارغو" أن تعيّنه أحدَ مرشديها. ومع أنّ هذه المهمّة لم تُؤتِه أيّ عونٍ مادّيٍّ، غير أنّها أتاحت له مخالطة مختلف طبقات الشعب، الغائصة، منها في الرفاه والبطر، والراسفة في أغلال الفقر والمرضى، ولا سيّما أنّه كان يُكلَّف، بين

حينٍ وآخر، بتوزيع صَدَقات الملكة على الفقراء والمشافي، التي تطوّع للعمل فيها.

وكان يملأ أوقات فراغه بالإمعان في دراساته اللاهوتيّة، حتّى حصل على شهادة دكتورا في اللاّهوت. وانضمّ إلى جماعات الإصلاح الكاثوليكيّ، وعقد صداقاتٍ مع أقطابها، وكان أبرزهم، في تلك الحقبة، الأب "پـــيير بيرول"، الكردينال العتيد، مؤسّس جمعيّة "الأوراتوار"، الذي اشتُهِر بمؤلَّفاته الروحيّة الرائعة. وقد أُعجب الأب ڤـــنسان بروحانيّته، ولكنّه كان أشدّ نزوعًا إلى العمل على الأرض من التوغّل في التأمّل. ولم يسعَ بيرول إلى احتوائه في جمعيّته، فقد دلّه حدْسُه إلى أنّ للأب ڤـــنسان دعوةً أُخرى، وأعانه على اكتشافها، عندما حصل على تعيينه خادمًا لرعيّة "كليشي"، في الضاحية الباريسيّة، ولم يكن قد مارس، بعد، الخدمة الراعويّة، منذ سيامته الكهنوتيّة.

هذه المهمّة أتاحت للأب ڤـــنسان، أن يختبر، واقعيًّا، وللمرّة الأولى، معنى رعاية النفوس، وتذوُّق حلاوة هذا الاختبار وسعادته، غير أنّ هذه السعادة كانت قصيرة الأمد، إذ ما لبث الأب بيرول أن انتزعه من غبطتها، وضغط عليه كي يعمل مرشدًا للجنرال دي غوندي، قائد البحريّة الملكيّة، ولزوجته، ومربِّيًا لأبنائهما.

هذه المهمّة الجديدة لم يكن الأب ڤـــنسان راغبًا فيها، ولكنّها، في الواقع، كانت تدبيرًا إلهيًا، أتاح له التوغّل في اكتشاف دعوته. فقد كانت الأُسرة التي كُلِّف برعايتها الروحيّة تملك قرًى عديدةً، تضمّ جموعًا غفيرةً من الفلاّحين المهمَلين مادّيًّا وروحيًّا، واحتياجاتها اللامحدودة تمثّل ساحةَ رسالةٍ رحبةً.

واتّفق أنّه فيما كان يقوم بواجباته الكهنوتيّة في إحدى تلك القرى، استُدعي، على عجلٍ، إلى فراش رجلٍ يحتضر، كان قد حبس، في صدره، عبئًا باهظًا من الخطايا التي لم يجرؤ على الاعتراف بها لكهنة القرى الذين كان ينخرهم الجهل والرذيلة والفقر، ولّما رمى بكلّ ذلك العبء بين يدَي كاهنٍ قدّيسٍ، غمرته سعادةٌ لم يعهد لها مثيلاً في حياته، وعبّر عن فرحه العارم بَوحه، على مسامع الجميع، بالخطايا التي تحرّر منها؛ ولّما سمعت السيّدة دي غوندي هذا البوح وصيحات فرحه، هالَها كم من رعاياها يهلكون افتقارًا إلى كاهنٍ حقيقيٍّ يعترفون له بخطاياهم، وطلبت من الأب ڤـــنسان أن يعظ في كنيسة إحدى قراها، داعيًا الناس إلى اعترافٍ عامٍّ.

وللمرّة الأولى تخلّى الأب ڤـــنسان عن أساليب الوعظ المألوفة، المحشوّة بالدروس اللاهوتيّة، والاستشهادات اللاّتينيّة، وبعد أن تأمّل

طويلاً في الصليب، أطلق العنان لقلبه، ففاض بما كان يضجّ به، ببساطةٍ، وصدقٍ، وبمنأًى عن أساليب البلاغة المدرسيّة. وبذلك ارتقت عظته إلى قمّة البلاغة الحقّة، الصافية، النفّاذة إلى أغوار النفوس. وفاق الزحف على كراسيّ الاعتراف كلّ توقّعٍ، فاضطرّت السيّدة دي غوندي إلى استقدام آباءٍ يسوعيّين من القرى المجاورة، من أجل مواجهة هذا الزحف الجماهيريّ على كراسيّ الاعتراف المهجورة، واستُحدِثت كراسيّ اعترافٍ أُخرى مرتجلةٌ.

هذا الحدث فتح عينيّ السيّدة دي غوندي على واجباتها الروحيّة حيال ساكني قراها، وكان البذرة التي أنبتت جمعيّة الرسالة (اللعازريّة) بعد بضع سنواتٍ.

كان الأب قـــنسان سعيدًا بالخدمات التي يقدّمها لمسيحيّي الريف. ولكنّه ضاق ذرعًا بوساوس السيّدة دي غوندي، التي كانت تطاردها وتحاصرها تساؤلاتٌ عن هفوات ماضيها، وهواجس مستقبلها ومستقبل أُسرتها، وكانت ضحيّة قلقٍ واضطرابٍ دائمَيْن، فحرصت أن يكون مرشدها إلى جانبها، في كلّ لحظةٍ، كي يردّ على تساؤلاتها، ويبدّد هواجسها، ويريح ضميرها، حتّى انتابه شعورٌ بالاختناق، فطلب الانعتاق من مهمّته لدى أُسرة دي غوندي، متذرِّعًا بحجّة عدم أهليّته لتربية أطفالٍ مُعَدّين لمهمّاتٍ رسميّةٍ؛ ولكنّ

الديغونديّين أطاحوا بهذه الحجج، واقترحوا لها حلاًّ متشبّثين برغبتهم في بقاء الأب ڤـــنسان معهم، لأنّه ضمانٌ لخلاص نفوسهم، ولا بديلَ عنه. وأغدقوا عليه مبادرات الإكرام والسخاء، طمعًا في استبقائه، وتفادي غيابه عنهم. غير أنّه لم يُطِقْ، طويلاً، احتمال هذا الوضع، وكان شغَفُه بالرعاية الكهنوتيّة آخذًا بكلّ كيانه. فطالب الأب بيرول بإخراجه من حيث أدخله، وإعادته إلى رعاية النفوس. ولكنّ الأب بيرول الذي كان حريصًا على تفادي إفساد علاقته الطيّبة بالديغونديّين الذين كانوا يمسكون بأخطر مفصلَيْن في الدولة، بذل كلّ وسعه من أجل إقناع الأب بالعدول عن عزمه مغادرة أُسرة الجنرال، ولكنّه فشل، وحينئذٍ ذكر أنّ أُسقف ليون كان قد استعان به من أجل إيجاد خادمٍ لرعيّة شاتيّون، فأوكل إليه هذه المهمّة، التي فتحت له آفاقًا جديدةً للخدمة، أضحت ركنًا أساسيًّا من أركان إنجازاته الكبرى.

فذات يوم أحدٍ، جاء مَن أَعلم الأب أنّ في أطراف القرية أُسرةً يعاني جميع أفرادها المرض والجوع والعوَز، وليس مَن يُغيثهم، فاستنهض سخاء الرعيّة، وتخطّت استجابتها كلّ توقّعاته. وتدفّقت المعونات الغذائيّة، دفعةً واحدةً، على الأُسرة المنكوبة. وكان ذلك في شهر آب، فأفسد الحرّ معظم الأطعمة المقدّمة، واستنتج الأب،

من ذلك، ضرورة تنظيم الخدمات والإعانات، كي تصيب غايتها، ولا يُهدَر منها شيءٌ، ولكي تستمرّ وتعمّ. وفي ذلك اليوم عينه أسّس أخويّة المحبّة الأُولى، ووضع لها نظامًا يصلح نموذجًا لكلّ عملٍ خيريٍّ، بفضل ما انطوى عليه من رقّة المشاعر، ومن اهتمامٍ يقظٍ، وإحاطةٍ بأدقّ التفاصيل، ويجعل من الخدمة ضربًا من العبادة، لأنّه كان يرى في المخدومين سادةً يستأهلون الاحترام، والتجلّة، والمحبّة، لأنّ الربّ نفسه اتّخذ منهم ممثّلين عنه.

ثمّ تضافرت الضغوط من أجل إعادة الأب ڤــنسان إلى بيت الديغونديّين الذين مكّنوه من تكريس معظم وقته وجهده على أعمال الرسالة في قراهم، وساعدوه على تأسيس جمعيّة الرسالة التي اندفعت إلى حملات وعظٍ وإصلاحٍ لا تهدأ، وكانت كلّ رسالةٍ تُكلَّل بأخويّة محبّةٍ، تتابع نشاطات الخدمة والإغاثة، ملتزمةً بالمبادئ التي سنّها الأب ڤــنسان. وما انفكّ نظام الخدمة، في تلك الجمعيّات والأخويّات المُستَحدثة، يُصقَل ويطوّر نحو كمال الخدمة.

وبارك الله مشاريع الأب التي تكاثرت تكاثرًا مذهلاً، لأنّها كانت تعبيرًا عن محبّة الله المتمثّلة في محبّة أبنائه المحتاجين، فازدهرت ازدهارًا مذهلاً، وتصدّت، بجدوى، لكلّ مكامن البؤس.

فالأخويّات في القرى أوحت بقيام جمعيّات سيّدات المحبّة في

المدن، وجمعيّات بنات المحبّة، وراهبات المحبّة، التي لفّت بمبادرات محبّتهنَّ مواقع المرض والبؤس في مئات العواصم والمدن والقرى، وفي كلّ القارّات.

وجمعيّة الرسالة التي ابتدأت بأربعة كهنةٍ، ورغم ما واجهها من اضطهاداتٍ، وتعدّياتٍ، وسلبٍ لممتلكاتها، وهدمٍ لمراكزها، ومع ما سقط، في صفوف مرسَليها من شهداء في شتّى بقاع الأرض، أمست تضمّ أكثر من ثلاثة آلاف كاهنٍ منتشرين في كلّ أمصار العالم، في حين يتخطّى عدد راهبات المحبّة عشرات الألوف، ويناهز عدد الناشطين في ميدان المحبّة الذين يحملون لواء القدّيس ڤنسان دي پول مليون ناشطٍ.

فكلّ موقع بؤسٍ في فرنسا كان يستدعي ڤنسان دي پول، ولا سيّما أنّ عصره كان مضرّجًا بدماء الحروب الداخليّة والخارجيّة، والتي كانت تشيع المجاعة، والأوبئة، والحرمان، والتشرّد؛ وكان يتصدّى لكلّ تلك المآسي سياسيًّا واجتماعيًّا، داعيًا الملوك والحاكمين، بجرأةٍ وحزمٍ، إلى التخلّي عن كبريائهم وأنانيّاتهم، والجنوح إلى السلام رأفةً بالأبرياء. واجتماعيًّا كان يجترح المعجزات كي يلبّي، قدر المستطاع، احتياجات المنكوبين الحارقة، فاستحقّ لقب "أبي الوطن".

وفوق كلّ تلك الأعباء الباهظة لم يُطق الأب ڤـــنسان البقاء لامباليًا حيال أيّة شدّةٍ تحلّ بفئةٍ من الناس، وأيّ ظلمٍ يقع على أبرياء. فثار على الوحشيّة التي كان يُعامَل بها المحكومون المسخّرون بالتجذيف على المراكب الملكيّة، وعلى لاإنسانيّة سجونهم، وكافح بضراوةٍ حتّى أدخل على أوضاعهم المأساويّة، أقصى ما استطاع إليه سبيلاً، من الرحمة، والإنسانيّة، والكرامة.

وأخذت بكلّ أوتار نفسه مأساة أنصع بني البشر براءةً، الأطفال المرميّين، فاستنهض لهم أُمَّهاتٍ عطوفاتٍ، وأوجد لهم بيوتًا تؤويهم، ومدارس تعدّهم لحياةٍ طبيعيّةٍ، وكان لهم الجدّ الحنون.

واستوقفه وضع المتسوّلين، فابتكر لهم حلاًّ، صوّب مصير العديد منهم، ولم ينسَ المهنيّين من رجالٍ ونساءٍ قضوا حياتهم يكدحون، ثمّ أعجزهم وهن الشيخوخة عن مواصلة العمل من أجل كسب لقمة العيش، فأقام لهم مركزًا نموذجيًّا، ينهون فيه حياتهم، سعداء بممارسة هواياتهم وينعمون بإقامةٍ نظيفةٍ، مضيئةٍ، ويحصلون على كفايتهم من مقوّمات العيش الكريم.

وبالإجمال، لم يشهد الأب ڤـــنسان عجزًا، ولم يسانده، ولم يشهد وهنًا، ولم ينحنِ عليه، ويوفّر له عوامل المنعة، ولا مظلومًا لم

يسعَ إلى رفع الضيم عنه، ولا محتاجًا لم يجهد في تلبية احتياجاته. ومع ذلك، لم يَعُدّ، قطّ، عطاءاته منّةً وإحسانًا، بل واجبًا يرضي به ربَّه، ويُفرح قلبه، ويريح، هو، به ضميرَه. وحرصًا على ألاّ تبقى تلك المبادرات ردّاتِ فعلٍ فرديّةً عابرةً، تنتهي في ساعتها، عمد إلى ترسيخها في مؤسّساتٍ مزوّدةٍ بنظامٍ دقيقٍ، واضح، محيطٍ بأدقّ التفاصيل، يضمن لها البقاء، والاستمرار، والازدهار، والشمول.

وبذلك كان عملاق المحبّة.

ومن المؤكّد أنّه لم يكن قادرًا على النهوض بكلّ تلك المبادرات والمشاريع، لولا تجرّده التدريجيّ من التطلّعات المادّيّة، والسعي إلى الترقّي الاجتماعيّ وزهده بكلّ متاعٍ دنيويٍّ، وانغماسه الكلّيّ، جسدًا، وروحًا، في روح معلّمه يسوع، ولولا توغّله في التأمّل والعبادة، بقدر توغّله في العمل المنتِج، ولولا ممارسته، حتّى الكمال، أسمى فضائل التجرّد، والتضحية، والتواضع، والصبر، وكلّ الفضائل التي تصنع القدّيسين.

وبذلك كان، أيضًا، قدّيس المحبّة.

وكان قد أمعن توغُّلاً في هذا المنحى، إثر التقائه القدّيس الملائكيّ، فرنسوا الساليزيّ، وكان قد طالع كتابَيْه الروحيّين

الرائعين بشغفٍ، واتّخذ منهما مرجعًا. ولّما التقاه في باريس، قامت بينهما، في الحال، علاقاتٌ وثيقةٌ مبنيّةٌ على تبادل المحبّة والتقدير، والتكامل. فالأب ڤـــنسان اقتبس من الأُسقف القدّيس سموّ روحانيّته. والأُسقف توسّم في الأب خير مؤتَمَنٍ على إرثه الغالي "جمعيّة راهبات الزيارة، بنات مريم"، فأوكل إليه رئاسة فروعها الباريسيّة، وكلّفه بإرشاد رئيستها العامّة القدّيسة "جانّ دي شانتال".

ومن ثمّ، بفضل قداسته، ونصاعة نفسه وسلوكه، واستيعابه لعظة الجبل، والتزامه بها، استطاع ذلك الكاهن القدّيس والمتواضع، ابن الفلاّح الفقير مجالسة الملوك، وأصحاب السلطة، ونُصحَهم وإرشادهم، وتقويم اعوجاجهم، ومقاومة مظالمهم، وتسخير قدراتهم لدعم مشاريعه الخيريّة، وتخفيف أعباء المتعَبين.

وما زال اللعازريّون والمنصوريّون والمنصوريّات، المنتشرون في شتّى الأقطار، وراهبات المحبّة الساهرات على المرضى والفقراء، ومئات أُلوف الناشطين، حاملي لواء القدّيس ڤـــنسان دي پـــول، يواصلون معجزة ذلك الكاهن، منقطع النظير، الذي، مع تواضعه وبساطته، حمل في قلبه أتّون نارٍ، وفي عقله كنوز إبداعٍ، وخلقٍ، وتنظيمٍ فذّةً.

ڤـــنسان دي پـــول قامةٌ شامخةٌ في تاريخ الإنسانيّة، ترتدي جلبابَ التواضع، وتمتشق سيف التجرّد والقداسة، أزاحت جبال الحرمان، والظلم، استجابةً لأنّات الموجوعين.

لقد أيقظ الضمائر الغافية، وحرّك القلوب المحجّرة، ودمغ مفهوم المسيحيّة بعلامة عظة الجبل والتطويبات الأصيلة.

وما زال وجهه من أشدّ وجوه العمالقة، والأبطال، والقدّيسين جاذبيّةً، يشعّ محبّةً، وإنسانيّةً، وما زال تأثيره نافذًا، جيلاً، إثر جيلٍ.

أديب مصلح

(من شاء مزيدًا من الاطّلاع على سيرة وخصال هذا القدّيس، المذهلة، يمكنه مطالعة كتابي: "عملاق المحبّة"، الصادر عن المنشورات البولسيّة لعام ٢٠١٩)

باقاتٌ روحيّةٌ

في غمرة انشغالات الأب ڤــنسان المتعدّدة، لم تتسنَّ له سانحةٌ لتدبيج بحثٍ، أو تأليف كتاب يَبسطُ فيه آراءَه ومبادئَه، بل إنّه، اقتداءً بمعلّمه الإلهيّ، علّم بمثال سلوكِه وبأقوالِه. وكانت واجباتُ إدارة مؤسّساته المتعدّدة، ومواكبته اليقِظة لكلّ ما يجري فيها وحرصه على إبقاء روح المحبّة والغيرة الرسوليّة متّقدًا في جميعها، قد فرضت عليه الإدمانَ على مراسلتها بانتظامٍ، مطّلعًا على أحوالها، رادًّا على تساؤلاتها، مرشدًا إلى حلّ مشاكلها الطارئة، باثًّا باستمرارِ روحَه فيها، ومذكّرًا بالمبادئ المقدّسة التي ينبغي التزامُها في مختلف المجالات، وفي كلّ الظروف والأحوال.

هذه الرسائل كانت أدواتِ تواصله مع أعوانه، ورفاقِ دربِه، وأعضاء جمعيّاته، وكانت مرآةً صادقةً لما عَمرت به نفسه من فضائل راسخةٍ، ومن مقوّمات روحانيّته. وقد قُدِّر عدد رسائله التي نجت من التلف أو الضياع بنحو ثلاثين ألفًا، وجميعها تعكس صورة نفسٍ شفّافةٍ، وقداسةٍ راسخةٍ، وعزيمةٍ صُلبةٍ، وذهنٍ منظّمٍ يحيط بكلّ تفصيلٍ.

وإلى جانب تلك الرسائل حملته واجباتُ قيادتِه إلى الإدلاء بأحاديث توجيهيّةٍ متواترةٍ، لأعضاء مؤسّساته، من مرسَلين، وسيّداتِ محبّةٍ، وبناتِ محبّةٍ، وقد تنبّه رفاقُه، في سنواته الأخيرة، إلى واجب تسجيل تلك الأحاديث، حرصًا على ما تضمّنته من كنوزٍ روحيّةٍ ثمينةٍ ونادرةٍ.

وقد عدّ الكاتب الفرنسيّ الأكّاديميّ البارع، ومؤرّخ الفكر والشعور الدينيّ في القرن السابع عشر، الأب "هنري بريمون" (Henri Brémond)، أنّ كتابات القدّيس ڤـــنسان هي من أعمق ما كُتِب، ومن أشدِّه تأثيرًا على عصره.

ومن هذا المنجم الغنيّ، يسرُّنا أن نختار فلذاتٍ ثمينةً، لعلّها تخصب نفوس مَن ما زالت تجتذبهم الخواطر السامية، التي تعكس لألاءَ ألماسةٍ روحيّةٍ نادرةٍ، متعدّدة الزوايا.

إيمانٌ

- **الحقائق الأبديّة كفيلةٌ بملء القلب، وباقتيادنا على دربٍ أمينٍ. فحسبُنا هذه الوسائل الإلهيّة لبلوغ الكمال في أمدٍ قصيرٍ.**
- **لا بدّ لنا، من أجل تقدّمنا، ومن أجل خلاص الآخرين، أن نستهدي في كلّ شيءٍ، بنور الإيمان الإلهيّ.**
- **إنّ شعارات الإنجيل تعارض شعارات العالم تعارضًا تامًّا.**
- **فلْنحذَر من تقييم الأشياء بناءً على مظاهرِها، بل فلنقيِّمْها وفقَ تقييم الله لها.**
- **لنعملْ دائمًا وفق تعليم يسوع المسيح الذي لا يخدع أبدًا، ولنتجنَّبِ السيرَ وفقَ شعارات العالم التي تخدعُ دائمًا.**
- **أعمالُ الله تتقدَّم، عمومًا، ببطءٍ. وعندما يدعونا الله إلى النهوض بها، فَلنحرَصْ على ألّا نستخدمَ سوى الأساليب التي يُلهمها روحُ يسوع، والمتوافقة مع شعارات الإنجيل، لا مع أحكامِ العالم الباطلة.**
- **تُسيل أنوارُ الإنجيل، دائمًا، إلى قلوبنا عذوبةً خَفيَّةً.**

- **قد نُقنعُ فكرَنا بحججٍ متينةٍ وروحيّةٍ، ولكن يجبُ أن تكونَ هذه الحجج خاضعةً لحقائق الإيمان.**
- **لا يكفي أن نقوم بأعمالٍ صالحةٍ، بل ينبغي إجادةُ فعلِها، تمثُّلًا بربّنا يسوع المسيح الذي أحسنَ فعلَ كلّ ما فعل. ولْنَحرصْ على إتمام أعمالنا بروح يسوع المسيح، أي وفقًا لطريقة عملِه، وبالكمال عينه، وابتغاءً للأهداف ذاتها التي ابتغاها من خلال كلّ أعماله. وإلّا فحتّى أعمالنا الصالحة ستجلب علينا عقابًا، لا مكافأةً.**
- **إنّ بطءَ التقدُّم في ميدان الفضيلة، والنجاحَ الضئيلَ في الأُمور التي تستهدف تمجيدَ الله، ناتجةٌ عن الانصراف عن الاعتماد على مبادئ الإيمان، والاقتصار على تعاليم العقل البشريّ.**

الصلاة

- **لا أجدى ولا أكثرَ ضرورةً من الصلاة الذهنيّة التي تقتضي إجادتُها حبًّا حقيقيًّا، وتركيزَ كلّ الاهتمام.**
- **لا غنَى عن الصلاة لدى العاملين على خلاص النفوس، سواءٌ من أجل إضرام رغبتهم في تقدّمٍ مستمرٍّ على درب التقوى والعبادة، أو من أجل إلهامهم الغيرة الرسوليّة، وجرأةً متجدِّدةً في خدمة القريب.**
- **أليسَ الثباتُ في الدعوة، والنجاح في المهمّات، والتغلّب على مراودات التجارب، والتوبة إلى الله، عقبَ الكَبوات، والإقامة في نعمة الله، والظفر بالسعادة الأبديّة نتائجَ الصلاة، دونَ سواها؟**
- **الصلاة كتابٌ أساسيٌّ للواعظين؛ فمنه يستمدّون الكلمة الأبديّة، والحقائق النابعة منها، والعقائد المقدّسة التي يتوجّب عليهم التبشير بها.**
- **الصلاة هي من مستلزمات خدّام الهيكل، مثلما السيف من مستلزمات الجنديّ.**

- أفضل المؤهّلات للصلاة والتأمّل، التواضعُ، واليقينُ ببطلان الذات، والتضحيةُ بالأهواء والميول الطبيعيّة الدافعة إلى الشرّ، والخشوعُ الداخليّ، وصفاءُ النوايا، وحضورُ الله، والتوافقُ التامّ مع مشيئته، وتوثّباتٌ متواترةٌ نحوَ العطف الإلهيّ.
- أثناء التأمّل يجب، دائمًا، اتّخاذُ مقاصد خاصّةٍ، والسعي إلى اجتثاث العادات السيّئة، وتوافقُ السلوك التامّ مع حياة يسوع، علمًا بأنّ ثمرة الصلاة الرئيسة ليست مجرّدَ خواطر ساميةٍ، وعواطفَ وديّةٍ، بل هي اكتسابُ فضائل، وممارسةُ أعمالٍ صالحةٍ.
- أثناء الصلاة ينبغي رفعُ الفكر نحو الله، والتسليم ببطلان الذات وانتظار أن يتنازلَ الله، ويكلّمَ قلبَنا بعبارات الحياة الأبديّة، إذ إنّ لفظةً واحدةً منه، أشدّ تأثيرًا من ألف استدلالٍ عقليٍّ، وألف خاطرةٍ من بنات فكرنا، ولا شيءَ قادرٌ على إفادة قلبنا إلّا ما يأتي من الله، وما هو يلهمنا إيّاه.
- فلنحرصْ على الصلاة بهدوءٍ، لكيلا نُرهقَ فكرَنا بجهدٍ عنيفٍ، وبإفراطٍ في الحذلقة.
- لا شيءَ يُرضي الله مثل شُكره عن نعمته.

- **الإفراط مُلامٌ في كلّ أمرٍ، وهو ملامٌ، على نحوٍ خاصٍّ، في الصلاة التي ينبغي أن نمارسَها باعتدالٍ، محتفظين بسلام الذهن والقلب.**
- **الإسراف في إجهاد الفكر، من أجل تحسُّس القضايا الروحيّة، يُلهب الخيال، ويوجع الرأس، وكذلك تكرار أعمال الإرادة الممعنة في العنف تجفّف القلب وتضعفه؛ وإذن، يجب التزام الاعتدال في كلّ أمرٍ.**
- **كمال الصلاة، وكمالنا الداخليّ لا يتحقّقان في دعاءٍ سامٍ، بل في المحبّة.**
- **عندما يتعيّن علينا التداول مع آخرين في أُمورٍ روحيّةٍ، فلنبدأ بالتأهّب له مع الله، من خلال الصلاة، متخلّين عن آرائنا ومشاعرنا الخاصّة، لكي نمتلئ بالروح القدس الذي يستطيع، إنارتنا، وإلهاب إرادتنا.**
- **رجل الصلاة لا يعجز عن أمرٍ، ويستطيع أن يقول مع الرسول بجرأةٍ: "أستطيع كلّ شيءٍ بالذي يقوّيني".**
- **إذا كان علينا أن نسأل الله شيئًا، فلنسألْه روحَه، لأنّ الروح الإلهيّ هو حياة نفوسنا.**

- لم يكتفِ ربُّنا، في سبيل خلاصنا، بتوظيف مواعظه، وأتعابه، وأصوامه، ودمه، وحياته ذاتها، بل أضاف إلى هذه كلّها صلواته، ليس لأنّ وسيلة الصلاة كانت له ضروريّةً، بل توخّيًا منه تعليم الرؤساء التمثّل به، في هذا المضمار، ودعوتهم إلى الصلاة، ليس فقط من أجل ذواتهم، بل أيضًا من أجل جميع الذين عليهم أن يصبحوا، مع يسوع، مخلِّصين لهم.
- الصلاة درسٌ يجب أن يُلقيه كلٌّ منّا على ذاته، من أجل الاقتناع بضرورة اللجوء إلى الله، والتعاون مع نعمته، واجتثاث الرذائل من قلوبنا، وغرس الفضائل فيها.
- الصلاة حصنٌ منيعٌ، يحمي المرسَلين من كلّ الهجومات. إنّها مستودع سلاحٍ مقدّسٍ، يحتوي كلّ أنواع الأسلحة، لا المُعدّة فقط من أجل الدفاع عن ذواتهم، بل، أيضًا، من أجل الهجوم، وردّ كلّ أعداء مجد الله، وخلاص النفوس.
- يسمح الله أن نفقدَ الرغبة في الصلاة، وحتّى أن ننفر منها. وما ذلك سوى امتحانٍ يجب ألّا يُحزنَنا، وألّا يثبّطَ عزيمتَنا. فهناك نفوسٌ صالحةٌ تخضع لهذا الامتحان، وكذلك قدّيسون كبارٌ. ولكنّهم بوفائهم لله استفادوا منه للتقدّم في ميدان الفضائل.

- قيل لنا انشُدوا ملكوتَ الله... ونشدان الملكوت يعني الدأب على السعي من أجله، ونبذ كلّ جبنٍ وتراخٍ؛ والسهر على إعداد داخل النفس، والبحث عن الله فيها... لقد اعترف القدّيس أوغسطينُس أنّه طالما بحث عن الله خارجَ ذاتِه، لم يعثر عليه. فلا بدّ من سَوْق حياةٍ داخليّةٍ كثيفةٍ. ومن يفشل في هذا المضمار يفقد كلّ شيءٍ.
- لكي تُؤتي الصلاة ثمارَها يجب الاستعدادُ لها، لا الاكتفاءُ بإجرائها بدافع العادة، والتمثّل بالآخرين... فالصلاة هي الترقّي بالروح إلى الله كي نقدّمَ له احتياجاتنا ونلتمسَ عونَ رحمته، ونعمته. فلا بدّ من إعمال الفكر مليًّا في عظمة الكائن الذي سنتّصل به، وفي جلاله، وسموّه، وبما سنقدّمه له، وما سنلتمسه منه. فلا بدّ من مكافحة شرود خيالنا، وخفّة فكرنا، وانتباذ الكسل والاستخفاف بما نقوم به، والنزوع إلى الاستعجال.
- من أهمّ عناصر الصلاة، اتّخاذُ مقرّراتٍ صالحةٍ، فهو أعظمُ شأنًا من الخطابات والخواطر. وثمرة الصلاة الرئيسة هي المقرّرات والنوايا الجيّدة، المبنيّة على أُسُسٍ متينةٍ، بقناعةٍ راسخةٍ،

وباستعدادٍ حازمٍ لتنفيذها، وبتوقّعٍ للعوائق التي يتوجّب تخطّيها... وما سبب إخفاقنا، غالبًا، في التقيّد بمقرّراتنا سوى إفراط ثقتنا بها، وبنوايانا الطيّبة، واعتمادنا على قوانا الخاصّة. ومن ثمّ علينا التمادي في الصلاة، والتماس نعمة الله بإلحاحٍ، والحذر من ضعفنا، وطلب النعَم الإلهيّة الضروريّة لجعل مقرّراتنا مثمرةً. وحتّى إذا أخفقنا، بعد ذلك، في تنفيذ نوايانا الصالحة، مرّةً أو مرّتين، أو على مدى فترةٍ طويلةٍ، فلا يسوغُ أن يدفعَنا هذا الفشل إلى الإحجام عن تجديد مقرّراتنا، وعن اللجوء إلى الرحمة الإلهيّة، والتماس أزر الله ونعمته. فمَن لا يستفيد من غذاءٍ لا يُضرب عن الطعام. بل ينبغي أن تحملَنا أخطاؤنا وإخفاقاتُنا على التواضع والندم، لا أن تودي بنا إلى القنوط. وأيًّا كان الخطأ الذي نتردّى إليه، لا يسوغ أن يُفقِدَنا ثقتَنا بالله، ولا عزمَنا على النهوض، ولا السهر على تجنّب الوقوع ثانيةً، بعون نعمته التي علينا التماسُها منه.

- بمعزلٍ عن الصلاة تحاكي النفس جسدًا بلا روحٍ، لا تشعر، ولا تتحرّك، ولا تحدوها سوى رغباتٍ زاحفةٍ نحو المتاع الفاني.

- والصلاة مرآةٌ ترى فيها النفس كلّ لوثاتها، وكلّ ما يُفقدها رضى الله؛ وبها ترى الله. ومن خلال الصلاة يبلّغنا الله ما يريد أن نفعلَه، وما يريد أن نتجنّبه. ولا شيء يعلّمنا، بوضوحٍ، مشيئة الله خيرًا من الصلاة.
- الآباء القدّيسون يرَون في الصلاة نبعَ فتوّةٍ تستعيد به النفس شبابَها، وقواها، بعد تحرّرها من عاداتها الذميمة، وبها تستعيد الرؤية إثر عمًى، وتستعيد السمع الذي كان مسدودًا دون سماع صوت الله، وتتفتّح مجدّدًا للإلهامات الصالحة، وبها يتلقّى القلب قوًى جديدةً، وإقدامًا غير معهودٍ من قبل.
- كيف لفتاةٍ قرويّةٍ قَدِمَت خَشِنةً، فَظّةً، أمّيّةً، مفتقرةً إلى التربية الدينيّة أن تصبح، في مدى فترة قصيرةٍ، مهذّبةً، متعلّمةً، طافحةً حبًّا لله، إلّا بالصلاة، نبع الشباب، حيث استعادت فتوّةً، واستمدّت نعمًا غامرةً؟
- فلنُقبلْ، بعزيمةٍ، على ممارسة الصلاة، لأنّها مصدرُ كلّ خيرٍ. فبها نَثبتُ في دعوتنا، وبها تنجح مساعينا، وبها ننجو من الوقوع في الخطيئة، وبها نثابر على المحبّة، وبها، وبنعمة الله، نَخلُص.

- ولمَ يتكلّم أُمّيّون عن الله كلامًا رائعًا، ويفسّرون الأسرار بفهمٍ يفوق فهم الملافنة؟ إنّ الأستاذ الذي لا يملك سوى العلم الذي اكتسبه يتكلّم عن الله بطريقةٍ هزيلةٍ تتوافق مع ما لقّنه علمه المكتسَب، في حين أنّ الآخر، البسيط، يتكلّم وفقَ علمٍ مشبعٍ حبًّا، أُوتِيَه من فوق.
- لنسألِ الله أن يهبَنا نعمتَه كي نتمكّن من مخاطبة جلالته الإلهيّة، معترفين بعجزنا التامّ، مستشفعين بحبِّه الجمّ لنا، وبالعذراء كلّيّة القداسة، وبالقدّيسين.
- من أجل إتقان الصلاة، ينبغي أن نشرعَ بوضع ذواتنا في حضور الله، الذي يرى كلّ شيءٍ، ويرمقنا، مراقبًا خفايا قلوبنا، ونافذًا إلى طوايا ضمائرنا؛ أو أن نتأمّله في القربان المقدّس على الهيكل، فنهتف له: "يا مخلّصي، ها أنذا، الخاطئ الهزيل البائس، عند أقدام هيكلك. إحمني من كلّ فعلٍ لا يليق بقدسيّة حضورك، وانفذْ إلى أعماق كياني، وأقِمْ في أغوار قلبي".
- يمكن معرفة مَن يحسنون الصلاة، ليس فقط من طريقة صلاتهم، بل، أيضًا، من خلال أعمالهم وسلوكهم، وثمار صلواتهم. وينطبق هذا المعيار، أيضًا، على مَن يسيئون الصلاة.

- **فلنُـنَمِّ حياتنـا الداخليّـة، ولنملّـكْ يسـوع علـى نفوسـنا. ولا نستسـلمنَّ للتـواني، والخَـدَر، سـاعين نحـو الأُمـور الدنيويّـة والعالميّـة التـي تُرينـا إيّاهـا حواسُّـنا، مغفلـين خالقَنـا الـذي صنعها، ومهملين الصلاة الكفيلـة بتحريرنـا من أَسْر المتـاع الأرضيّ، بل ناشدين الخير الأعظم: مجد الله، وملكوت يسوع المسيح.**

خشوعٌ

- **إنّ دراسة العلوم تُخمِد، لدى كثيرين، حرارةَ الروح. فعلى الدارسين أن يحتاطوا، كي يحافظوا على العبادة، بواسطة ممارسات التقوى، وخاصّةً بواسطة التأمّل، بحيث يُكملون تهذيب ذهنهم بمعرفة الحقيقة. وفي الآن عينه تلتهب إرادتُهم حبًّا لله، مصدرِ كلّ علمٍ.**
- **فكرة حضور الله تجعلنا نعتاد أن نحقّقَ، في كلّ أمرٍ، مشيئته المقدّسة. وعلى هذه الفكرة أن تحتلّ فكرَنا بحدّةٍ، أكثر ممّا يحتلّه حضور جميع الخلائق مجتمعةً.**
- **لا قدرةَ للفلسفة واللاهوت والخواطر على التأثير في النفوس. ولكن لا بدّ من أن يعمل يسوع المسيح معنا، وأن نعمل نحن معه. وعلينا أن نتكلّم مثلما كان هو يتكلّم. وأن نكون متّحدين بروحه، مثلما كان متّحدًا بالله أبيه.**
- **الخشوع الداخليّ يحمي من التشتّت، أي من مصدر الفتور والتراخي، لدى جميع مَن تفرض عليهم وظيفتُهم أن يوحوا للآخرين، بلا انقطاعٍ، حرارة التقوى، ومخافة الله.**

- **كلٌّ منّا يحمل دمغة حماية العذراء مريم، التي يجب أن تكون لنا أُمًّا، عندما نرغب في أن نكون لها أبناءً.**
- **ملكوت الله يكمُنُ في السلام، والروح القدس يسود في قلبٍ يسوده السلام.**

التقدّم الروحيّ

- **فلنكرّمْ كمالات الله، ولنستهدِ، في كلّ أعمالنا، بأحد كمالاته التي تناقض نقائصَنا، مثل عطفه وحلمه في مواجهة نزعتنا إلى الغضب؛ وعلمه لمقاومة عمانا؛ وعظمته وجلالته اللامحدودين في مواجهة حقارتنا ودناءتنا، وطيبته اللامحدودة المناقضة لخبثنا.**
- **لا ينظر الله إلى ظاهر أعمالنا بقدر ما ينظر إلى مستوى الحبّ وطهر النوايا التي ترافقها. فالأعمال الصغرى المُؤدّاة إرضاءً لله ليست معرّضةً للتباهي الباطل، مثل الأعمال الباهرة التي تبدو أكثر إبهارًا ولكنّها تتبدّد، غالبًا، تَبدُّدَ الدخان... فإن كان علينا إرضاء الله بأعمالٍ عظيمةٍ، يجب أن نعتاد إرضاءَه بأعمالٍ صغيرةٍ.**
- **صونًا لاستقامة تفكيرنا وصلواتنا، يجب أن نلتزم بقاعدةٍ لا نحيد عنها، فنحكم مثلما يحكم ربّنا، دائمًا، وفي كلّ أمرٍ، ونتساءل، في كلّ ظرفٍ: "كيف كان يحكم ربُّنا؟ كيف تصرّف في مثل هذا الظرف؟ وماذا قال؟". وبالإجمال يجب أن يتناغم سلوكُنا مع تعاليمه ومُثُله.**

- لنقاومْ طبيعتَنا بحزمٍ، لأنّنا عندما نتيح لها، مرّةً، أن تحتلّ منّا قَدَمًا واحدةً فهي لن تلبثَ أن تحتلّ أربع أقدامٍ. ولنتأكّد أنّ مقياس تقدّمنا في الحياة الروحيّة يعتمد على تقدّمنا في التمرّس بفضيلة التضحية.
- فلنقدّسْ كلّ أعمالنا بنشداننا الله فيها. ولنَقُمْ بها بغيةَ العثور على الله، أكثر من ابتغائنا إنجازها. فالله يطلب، قبل كلّ شيءٍ، أن ننشُدَ مجدَه وملكوتَه، وعدله. وفي سبيل ذلك فليكن رأسمال وجودنا الحياة الداخليّة، والإيمان، والثقة، والمحبّة، والممارسات الدينيّة، والصلاة، والتضحيات، وتقبّل المشقّات.
- الدليل على اتّباع الربّ هو ممارسة التضحية يوميًّا: فلا ندَعْنَ يومًا يمضي، ولا نفرض على ذواتنا ثلاث أو أربع تضحياتٍ. بذلك يتأكّد اقتفاؤنا خطى ربِّنا، وسيرنا على الدرب الضنك الذي يقود إلى الحياة الأبديّة. وبذلك يملك الربّ فينا، في هذه الدنيا، ونكون معه أبديًّا.
- مَن يبتغي التقدّم، بخطواتٍ واسعةٍ، في ميدان الفضيلة، عليه أن يقمعَ بشدّةٍ ميولَه الخاصّة. أمّا من يُحجم عن التضحيات التي تقتضيها الفضيلة الحقّة، ففضيلتُه وهمٌ.

التضحية

- **مَن يُهمل التضحيات الخارجيّة بحجّة أنّ التضحيات الداخليّة هي الأكمل، يُثبِت أنّه لا يمارس لا تضحياتٍ خارجيّةً، ولا تضحياتٍ داخليّةً.**
- **لا بدّ من التضحية من أجل اكتساب الوداعة، ومن أجل التغلّب على المصاعب التي تواجهنا في ميدان خدمة الله.**
- **يكتفي كثيرون بالحوارات الرقيقة التي يعقدونها مع الله في الصلاة. ولكنّهم يفتقرون إلى جرأة التضحية، واحتمال الأمراض، والإهانات، والمصائب، بصبرٍ. لا نخدعنَّ، إذن، ذواتنا، فالرسول ينذرنا بأنّ أعمالَنا، وحدَها، هي التي سترافقنا إلى الحياة الأبديّة.**
- **علينا، ونحن نصلّي، مكافحة الأهواء، والميول الشرّيرة السائدة فينا، مكافحةً جادّةً، وبحرصٍ دائمٍ على مكافحتها، لأنّنا بقضائنا عليها، ننتصر بيسرٍ على كلّ العِلَل الأُخرى.**
- **لا يمكن اعتبار الفضيلة راسخةً في نفسٍ متمسّكةٍ بإرادتها الخاصّة.**

- **إن لم يكن روح التضحية هو حادينا (في الجمعيّة) فأنّى لنا أن نحيا معًا؟ ألا توجد، دائمًا، مبرّراتٌ للاعتراض؟ أليس هناك ما يصدمنا، في جميع الظروف التي نجتازها؟ فإن لم نتحلَّ بممارسة التضحية، سيكون دائمًا جدالٌ. إنّ الحياة الجماعيّة تقتضي التمرّس بفضيلة التضحية، وترويض حواسّنا الداخليّة والخارجيّة عليها بقسوةٍ. والأمر هو ذاته في علاقتنا مع الآخرين. فالمرسَل لا يعرف أين سيقيم، وما عليه أن يفعل، وسيواجه ما لم يتوقّعه، وقد تقلب العناية الإلهيّة توقّعاتِه رأسًا على عقبٍ. ومن ثَمّ إنّ الرسالة والتضحية متلازمتان، بلا فكاكٍ.**

عرفانٌ بالجميل

- **يجب أن ننفقَ من الوقت لشكر الله عن نعمه، بقدر ما أنفقنا من وقتٍ في التماسها.**
- **العرفانُ بجميل النعَم المتلقّاة هو من أجدى وسائل الحصول على المزيد منها.**
- **النعَم التي يُغدِقها الله علينا، بلا حسابٍ، تُلزِمُنا بالإحجام عن السعي من أجل مجدنا الخاصّ، وبأن تستهدفَ أعمالُنا كلُّها تمجيدَ الله.**
- **لن يكفّ الله عن إغداق نِعَمه عمّن يبقى جديرًا بها.**
- **يجب أن نسارع، دائمًا، إلى غوث المحسنين إلينا في احتياجاتهم، وأن نعدّ ثروةً إفقارَ ذواتنا من أجل توفير البحبوحة للذين أحسنوا إلينا، يومًا. ونحن واثقون أنّ عطف الله سيسرُّه مدّ يد العون لنا، في مثل هذه الظروف، فلا نفتقرُ إلى شيءٍ.**

الثقة بالله

- **لا يمكن أن يكون الرجاء الحقّ مفرطًا، أبدًا، لأنّه مبنيٌّ على عطف الله، وعلى استحقاقات يسوع المسيح.**
- **في أشدّ حالات احتياجاتنا إلحاحًا، تتجلّى، بوضوحٍ، ثقتُنا بالله.**
- **إنّه لَأمرٌ رائعٌ أن نوجّهَ أفكارَنا إلى الله، وألّا نثقَ إلّا به، لأنّه، حينئذٍ، يهبنا كلّ ما وعدنا به، وكلّ ما نحتاج إليه.**
- **لا تتخلّى عنّا العناية الإلهيّة أبدًا، في الأعمال التي نُقدِم عليها بإيعازٍ منها.**
- **عندما ينيرنا الله، ويلهمنا العزم على مقاومة ميولنا، وإيثارنا ما هو الأكثر إرضاءً له، حينئذٍ يهبنا القدرة على ذلك.**
- **إنّ الذين لا يمتلكون سوى مواهب ضئيلةٍ وعاديّةٍ، هم، عادةً الأدواتُ الأوفر صلاحيّةً بين يدي الله من أجل تحقيق خلاص الشعوب، لأنّهم أقلُّ اعتمادًا على ذواتهم، ويلجأون إلى الله بمزيدٍ من التواضع، ولا يَعزون نجاح أعمالهم إلّا له وحدَه.**

- نحن فقراء وهزيلون، ونحتاج إلى الله في كلّ مكانٍ.
- فليوقنْ مَن أودعَ ثقتَه في الله أنّه، ولو قاومه العالم أجمع، لن يحدثَ له إلّا ما يشاؤه الله.
- المشاريع التي تبدأ بوسائل بسيطةٍ وعاديّةٍ، تحظى بدعم الله، أكثر من المشاريع التي تُوظَّف لها وسائل خارقةٌ وباهرةٌ.
- يُعَظِّم الله أقصى تعظيمٍ عندما نستسلم لمشيئته، غير ساعين إلى استبيان دوافعه، مكتفين بالإيمان أنّ دافعَه هو مشيئتُه، وأنّ مشيئتَه هي دافعُه.
- كلّ ما يهبُنا الله أو يأخذه منّا ينقلبُ دائمًا إلى خيرنا. فتلك هي مشيئته. وعلينا أن نستمدّ كمالَنا وسعادتنا من التوافق مع مشيئته.
- عندما يدعونا الله إلى الاضطلاع بمهمّةٍ شاقّةٍ، أو يسمح بمعاناتنا متاعب من أجل خدمته وتمجيده، فعنايته تبتغي، من ذلك، حمايتَنا ومؤازرتَنا.
- إذا كنّا أوفياء لله فلن ينقصَنا شيءٌ، لأنّه سيحيا فينا، وسيقودُنا، وسيدافع عنّا، وسينجّينا.

- **يجب أن نحبّ الله حبًّا جمًّا، ونثق به ثقةً مطلقةً، وأن نحذر من ذواتنا.**
- **علينا الاستسلام، كلّيّةً، بين يدي الله، والإيمان بأنّ العناية الإلهيّة توجّه كلّ الأحداث من أجل خيرنا، وأنّها هي التي تسمح بكلّ ما يحدث لنا.**
- **الوسيلة الأكثر نجاعةً من أجل نجاح أيّ مشروعٍ هي الاستسلام التامّ للعناية الإلهيّة والخضوع المتواضع لتدابيرها.**
- **كنوز العناية الإلهيّة لامحدودةٌ، ووحدَها لامبالاتُنا تحدّها، وتحجب عن عيوننا ألقَها وقيمتَها.**
- **فلنثقْ بالله ثقةً تامّةً، ولنَثِقْ أنّه سيكمل العمل الذي بدأه فينا، وبنا.**

التوافق مع مشيئة الله

- **التوافق مع المشيئة الإلهيّة هو علاجٌ فعّالٌ لجميع الشرور والعِلَل، ووسيلةٌ لإصلاح النفس من كلّ عيبٍ، وللتغلّب على جميع التجارب، وإبقاء السلام صامدًا في القلب.**
- **إنّ الربّ يتواصل باستمرارٍ مع النفوس التي تتوافق توافقًا تامًّا ودائمًا مع مشيئته الإلهيّة، ولا تلتمس سوى رضاه في ما تريد، وما لا تريد.**
- **كمال الحبّ الإلهيّ لا يكمنُ في الانخطافات أو في الكرامات فائقة الطبيعة، والرؤى، بل في تنفيذ مشيئة الله.**
- **إنّ التوافق، في كلّ شيءٍ مع المشيئة الإلهيّة يتمثّل في سَوْق حياةٍ ملائكيّةٍ. وهذا، بالتحديد هو الحياة على غرار حياة يسوع على الأرض.**
- **تنفيذ مشيئة الله في كلّ أمرٍ، وفي كلّ مكانٍ، وارتضاء الحياة والموت حيث هو يريد، هذا هو موقف خدّام الله الصالحين، والمرسَلين الحقيقيّين، والعلامة التي تميّز أبناء الله الأوفياء المتأهّبين دائمًا لتنفيذ مرامي أبٍ فائق الجلالة والعطف.**

- نبلغ الكمال عندما تتّحد إرادتُنا اتّحادًا كاملًا بإرادة الله، وعندما لا نبتغي إلّا ما يريده الله. وبقدر ما يتوغّل المرء في هذا التوافق، يكون مسيحيًّا أكثر كمالًا.
- الكمال هو الزهد بالذات، وحمل الصليب، واتّباع يسوع. ومَن يمعن في الزهد بالذات، ويحمل صليبَه على نحوٍ أفضل، هو مَن لا ينفّذ أبدًا مشيئته الخاصّة، بل ينفّذ، دائمًا، مشيئة الله.
- ما أقلّ ما يلزم الإنسان كي يكون قدّيسًا! فحسبُه أن يفعل، في كلّ شيءٍ، ما يريده الله.
- يجب الإحجام عن التقرير بشأن أُمورٍ خطيرةٍ، عندما نكون مندفعين أملًا ورغبةً. فإن كان نجاح المشاريع البشريّة يعتمد على النشاط والاندفاع اللذَين يواكبان تحقيقَها، إلّا أنّ نجاح شؤون الله يعتمد على الخضوع المتواضع لمشيئته، وانتظار المواعيد التي حدّدها هو من أجل تنفيذ مراميه بسكونٍ.
- الإرادة الذاتيّة هي التي تُفسِد أعمالَنا، وتوبتَنا، الخ... ومن ثَمّ، حؤولًا دون هدر وقتنا وأتعابنا سدًى، فلنحذَرْ من العمل بدافعٍ طبيعيٍّ، أو بدافع المصلحة والميل، والمزاج والنزوة، بل فلنعتَدْ فعلَ كلّ شيءٍ وفقًا لإرادة الله.

- التوافق مع المشيئة الإلهيّة هو كنز المسيحيّ الحقّ. وهو يتضمّن إلى حدٍّ كبيرٍ، التضحية، والخضوع التامّ، وإنكار الذات، والاقتداء بالمسيح، والاتّحاد بالله، وبالعموم جميعَ الفضائل التي يكسبُها التوافق مع مشيئة الله صفة الفضيلة. فهذا التوافق هو أساس كلّ كمالٍ، وقاعدته.
- التوافق مع مشيئة الله هو وسيلةٌ أمينةٌ وسهلةٌ من أجل الظفر بكنز نعمٍ جزيلٍ في هذه الحياة.
- إنّ الذين يُقيمون إقامةً وطيدةً في التوافق مع مشيئة الله، ينقادون، دائمًا، بحكمته. ويمكن القول إنّ الله يمسكهم بيده، واقيًا إيّاهم من السقوط. وهو يضيئهم بأنواره الإلهيّة، فينعمون، سحابةَ حياتِهم، بالسلام، والسكون التامّ، وينجزون تقدّمًا سريعًا في ميدان الفضيلة، ويظلّون، عاكفين على أعمالٍ مقدّسةٍ.
- مَن يخضعْ للمشيئة الإلهيّة يتغلّبْ على جميع الصعاب التي يواجهها في خدمة الله، ويحقّقِ الربُّ فيه كلَّ ما أعدّه له.
- بلوغ القداسة لا يقتضي إلّا القليل: الوسيلة المثلى، وربّما الوحيدة، هي اعتيادُ تنفيذ مشيئة الله في كلّ أمرٍ.

- من يسعَ إلى الخضوع لله في كلّ أمرٍ، يسكنْه اليقين بأنّ كلّ ما قد يفعله البشر، أو يقولونه ضدّه، سينقلب، حتمًا، لصالحه.
- يسبغُ الله قوّةً فريدةً على أقوال مَن ينفّذون مشيئتَه، ويغمر ببركاتٍ خاصّةٍ الأعمال التي يضطلعون بها إكرامًا له، ويبارك مشاريعهم المقدّسة. ومن ثمّ تسهم جميع أعمالهم في هداية كثيرين من الشاهدين عليها، إلى دروب الصلاح.
- استسلامٌ واحدٌ لمشيئة الله في كلّ ما يأمرنا به، وما يعارض رغباتِنا، خيرٌ من ألفِ نجاحٍ يلبّي إرادتَنا وأذواقَنا.
- التسليم بمشيئة الله، وتحمّل كلّ ما يروق له، طالما هو يروق له، هذا هو الدرس الذي يلقّننا إيّاه ابن الله. ومَن يحفظون هذا الدرس، ويحفرونه في قلوبهم، هم الأوائل في مدرسة يسوع المسيح.
- ليس أقدسَ وأسمى كمالًا من التسليم بمشيئة الله الذي يجرّدنا تجريدًا كلّيًّا من ذواتنا، ويلهمنا تقبّل كلّ الحالات التي نواجهها بموقفٍ ثابتٍ، لا يتمرّد على محنةٍ ولا ينتشي بنجاحٍ.
- نحن أبناؤك، يا ربّ، ونرتمي بين ذراعيك كي نتمثّل بسلوكك.

- خير تأهّبٍ للموت هو التسليمُ المطلقُ لمشيئة الله، أُسوةً بيسوع المسيح الذي، في صلاته ببستان الزيتون، استعدّ للموت وهو يردّد قول: "يا أبتاه! لِتَكنْ مشيئتُك، لا مشيئتي!"
- عندما يتعيّن عليكم القيام بعمل خيرٍ، اسألوا ابنَ الله: "يا ربّ، لو كنتَ في مكاني، كيف ستتصرَّف؟ وكيف ستثقّف هذا الشعب؟ وكيف ستواسي هذا الفقير روحًا وجسدًا؟".
- كم من كنوزٍ ثمينةٍ في العناية الإلهيّة، وكم يمجِّد ربُّنا أجملَ تمجيدٍ أولئك الذين يتبعونها، ولا يتخطّونها، ولا يعبرون فوقَها! أتقول إنّك من أجل الله تعاني المشقّات؟ إن كانت خدمة الله تسبّب لك معاناةً، فلستَ من أجل الله تعاني.
- عندما نتلقّى، بتسليمٍ تامٍّ، المِحَن التي يمتحننا بها الله، فهي ستصبح لنا نِعمًا وخيراتٍ، لأنّ التوافق مع مشيئة الله هو ربحٌ أثمن من كلّ المغانم الزمنيّة.
- من أكثر أعمالنا إرضاءً لله، هو أن نعدّ كلّ عملٍ نقوم به، وكأنّه عملنا الأخير في هذه الحياة الدنيا. وكلّما أقدمنا على فعلٍ، فلنتساءل: "إذا علمتَ أنّك ستموت بعد هذا العمل، هل ستقوم به؟ وهل ستؤدّيه كما أنت عازمٌ على تأديته الآن؟".

حبّ الله والقريب

- **المحبّةُ هي روحُ الفضائل جمعاء.**
- **لن نكونَ مسيحيّين حقيقيّين، إلّا عندما نكون متأهّبين لفقدان كلّ شيءٍ، ولإعطاء كلّ شيءٍ، حتّى حياتنا، حبًّا وتمجيدًا ليسوع المسيح، ومعتزمين، أُسوةً بالرسول، إيثار العذابات، وحتّى الموت، على الانفصال عن محبّة المخلّص الإلهيّ.**
- **إنَّ مَن يحبّ إنسانًا يتمنّى له الخير. وحبُّنا للربّ يعني أن يكون اسمُه معروفًا ومنتشرًا في العالم أجمع، وسائدًا على الأرض، وأن تتحقّقَ مشيئتُه على الأرض مثلما هي محقّقةٌ في السماء.**
- **لا تسمح لنا المحبّة بالتواني، والبقاء مكتوفي اليدين، بل تلزمنا بخلاص الآخرين، وبمواساتهم.**
- **أَلا نكونُ غيرَ جديرين بالوجود الذي حبانا به الله، إن لم نستخدمْه في سبيل حبِّه، وحبِّ القريب. وطالما اعترفنا بتلقّي الحياة من كرم الله، أَلا نُذنِبُ عندما نأبى استخدامها وبذلها وفق مراميه، واقتداءً بابنه، ربِّنا؟**

- الإكباب على تخفيف آلام المنكوبين، يروق لله. وما أكثر ما يرضيه هو العناية بالمجروحين في ذهنهم، إذ إنّ الطبيعة البشريّة لا تجد في هذا العمل أيّ رضًى، ولأنّه عملٌ يندرج، سرًّا، حيالَ أشخاصٍ لا يقدّرونه.
- الإحجامُ عن فعل الخير، وارتكاب الشرّ مدانان على السواء.
- إنّ حبّ الذات المموّه بحجاب المحبّة يوهمنا غالبًا أنّنا نخدمُ الله، فيما نحن نسعى إلى إرضاء ذواتنا.
- هل هناك أشدُّ بشاعةً، ووحشيّةً، وشيطانيّةً من الخلاف؟
- فلنسعَ إلى أن يسودَ الله فينا، قبل سعينا إلى سيادته في الآخرين.
- فلنحبَّ الله على حساب سواعدنا، وعَرَق جباهنا. فإنّ جميع أعمال المحبّة، والمجاملة، والعطف، وشتّى بوادر المودّة الأُخرى قد تطوف بقلبٍ رقيقٍ. وهي مع كونها صالحةً، ومرحَّبًا بها، غير أنّها مشوّهةٌ، إن لم تدفع إلى أعمال محبّةٍ مجّانيّةٍ.
- (من خطابٍ إلى بنات المحبّة):

« هل تظنَّنَّ، يا أخواتي، أنّ الله ينتظر منكنّ أن تقدّمنَ لفقرائه، فقط، كسرةَ خبزٍ، وقطعة لحمٍ، وحساءً ودواءً؟ كلّا،

يا أخواتي، لم يكن هذا مبتغاه، عندما اختاركنّ من أجل خدمته في أشخاص الفقراء. بل هو يتوقّع منكنّ، أيضًا، السهر على احتياجاتهم الروحيّة، فضلًا عن احتياجاتهم الجسديّة. إنّهم يحتاجون إلى الزاد الروحيّ، وإلى روح الله. فمن أين ستمددْن هذا الروح كي تزوّدنَهم؟ إنّكنَّ تستمْدِدْنَه من المناولة المقدّسة. فعليكنّ الاستعداد، استعدادًا لائقًا، لتلقّي هذا الروح الإلهيّ بغزارةٍ.

ما هو الروح الذي ينبغي أن يحدوَ بناتِ المحبّة؟ إنّه، يا أخواتي، حبّ ربّنا. أليسَ طبيعيًّا أن تحبَّ البناتُ أباهنَّ؟ وإنّ لهذا الحبّ وجهَيْن، وجهًا عاطفيًّا، ووجهًا عمليًّا.

الحبّ العاطفيّ رقَّةٌ وحنانٌ، وعليكنّ حبّ ربِّنا برقّةٍ، وتعلّقٍ مثل ولدٍ لا يطيق الانفصال عن أُمّه، ويهتف لها: "ماما"، حالما تخطو بعيدًا عنه. هكذا هو شأن قلبٍ يحبّ ربّنا، ولا يطيق غيابه، ويتشبّث به بحبٍّ عاطفيٍّ، الذي ينتج حبًّا فعليًّا. فالحبّ العاطفيّ لا يكفي، ولا بدّ من الحبَّيْن معًا. وعلى الحبّ العاطفيّ أن يتحوّل إلى حبٍّ فعليٍّ، متمثّلٍ في ممارسة أعمال المحبّة، وخدمة الفقراء بفرحٍ، وجرأةٍ، ومثابرةٍ، وحبٍّ ».

- (من خطابٍ إلى المرسَلين):

« أيّها المخلّص الذي جاءنا بوصيّة محبّتِنا لقريبنا مثل محبّتِنا لنفسنا، لقد نفّذتَ، أنتَ، هذه الشريعة تنفيذًا كاملًا حيالَ البشر، ولكن ليس بطريقة البشر، بل بطريقةٍ منقطعة النظير. إنّنا نشكرُ لك دعوتَنا إلى هذا المسار، وإلى أن نكون، دائمًا، محبّين للآخرين، وأن يكون هذا الحبّ موضوع نذرنا وأن نكون عاكفين عليه الآن، وأن نكون جاهزين لفعله حتّى إذا اضطُررنا إلى العزوف عن كلّ مهمّةٍ أُخرى، من أجل الانصراف إلى أعمال المحبّة...

أيّها المخلّص، ما أسعدني بأن أكون في حالة محبّةٍ للقريب، حالةٍ تخاطبك تلقائيًّا، وتصلّي لك، وتقدّم لك باستمرارٍ ما أعمله محبّةً بالقريب. أنعم عليّ بمعرفة السعادة النابعة من هذه المحبّة، والفرح بهذه الحالة المباركة، وبالمساهمة في ترسيخ هذه الفضيلة في جمعيّتنا الآن، وغدًا، ودائمًا.

لا نقولنَّ، أبدًا، شرًّا في مَن يُعلنون عداءَهم لنا. بل فلنتقبّلْ، طَوعًا، الازدراء والخزي، من أجل صيانة شرف قريبنا ».

الإحسان إلى القريب

- **يقتضي الله منّا ألّا نقوم بعمل إحسانٍ رغبةً في تقدير الناس لنا. بل فلنستهدفْ الله وحدَه، في كلّ أعمالنا، ولنُحجِمْ عن أداء أيّ عملٍ بدافع الحياء البشريّ.**
- **يبدو أنّ الربّ قد شرّف وقدّس المِحَن البشريّة، بخضوعه لجميعها، باستثناء الجهل والخطيئة. وبذلك علّمنا ألّا نزدري من هم الأشدّ ابتلاءً بهما، وألّا نتوانى عن تخفيفهما.**
- **فلنسهرْ على مصالح الغير، مثل سهرنا على مصالحنا الخاصّة، ولنحرص، في كلّ ظرفٍ، على السلوك باستقامةٍ وأمانةٍ.**
- **الرقّة، ودعم القريب هما منبع سلامٍ، ورابط كمالٍ يجمع القلوب.**
- **لا يستطيع الذين تحدوهم محبّةٌ حقيقيّةٌ منعَ تجلّي هذه المحبّة للعيان. وعمومًا ليست المبادرات الخارجيّة إلّا براهين عن استعدادات النفس الداخليّة.**
- **عندما نُحجِم عن عملٍ خيريٍّ، يهجرنا الله، ويستنفر آخرين من أجل تنفيذ الخير الذي ابتغى تحقيقَه من أجلنا.**

- المحبّة هي حبٌّ يفوق الحواسّ، والعقل نفسه، وبه نحن نحبّ إخوتنا البشر بالدافع عينِه الذي جعل يسوع المسيح يحبّهم، أي من أجل تقديسهم في هذه الدنيا، وتوفير السعادة لهم في الآخرة.
- يجب أن نكونَ لله وللقريب، بلا تحفّظٍ، وأن تُبقينا المحبّة جاهزين لفعل وتحمُّل كلّ ما هو ممعنٌ في الصعوبة. ولنشكرِ الله ونباركْه كلّما أفضى بنا عملُ محبّةٍ إلى تحمّل مشاقَّ.
- يجب أن نعامل القريب بعطفٍ ورقّةٍ، وأن نحتملَ عيوبَه بصبرٍ، وأن نحاول اجتذابه إلى الفضيلة بالوسائل التي يُحسِن استخدامها قلبٌ رقيقٌ طافحٌ بالمحبّة المسيحيّة.
- فليحفظِ الله المحبّةَ الأخويّة، في قلوب جميع المسيحيّين. وحينئذٍ، بفضل المساعدات المتبادلة بينهم، سيساند الأقوياء الضعفاء، ويتحقّق عمل الله.
- فلنحذَرْ من أن تكون محبّتُنا للقريب محبّةً أرضيّةً، ناتجةً عن ميلٍ طبيعيٍّ يُؤتي من الأذى أكثر ممّا يؤتي من نفعٍ. ولا تستهدف محبّتُنا سوى الله، في مَن نحبّ.
- كما أنّ وظيفة النار هي الإضاءة والتدفئة، مهمّة المحبّة هي إشاعةُ أنوارها ولهيبها.

- السكن في بيتٍ تسوده المحبّة الأخويّة هو مسكنٌ في الفردوس. فما من أمرٍ أشهى وأعذب من العيش مع مَن نحبّهم ويحبّونَنا.
- علينا ألّا نرى سوى الله في جميع البشر، وأن نكرّمَ فيهم كمالاتِه الإلهيّة. وستملأ هذه النظرة قلبَنا حبًّا واحترامًا لجميع إخوتنا.
- لا يكفي أن تكونَ المحبّة في القلب والأقوال، بل يجب أن تتحوّلَ أعمالًا، وحينئذٍ تكتمل وتخصب، وتولّد الحبّ في قلوب مَن تتّجه إليهم، وتكتسب الجميع.
- إنّ ما يُعطى بدافع المحبّة يتقبّله الله نفسُه. وأليسَ سعادةً منقطعة النظير أن نعطيَ الله ما هو له، وما لم ننَلْه إلّا من عطفه؟
- خيرُ استخدامٍ لخيرات الأرض هو وضعُها في خدمة أعمال المحبّة، إذ إنّنا نعيدُها، بطريقةٍ ما، إلى الله، مصدرِها. فالله هو الغاية الوحيدة التي على جميع الأمور أن تؤول إليها.

موقف تسليمٍ ومساواةٍ وسكينةٍ حيالَ الأفراح والشدائد على السواء

- **مفتاحُ الحياة الروحيّة هو تقبّلُ جميع الأحوال التي يضعُنا فيها الله. إذا انهالت علينا المِحَن، فلْنُبارِكِ الله، ولنباركْه، أيضًا، إذا غمرنا العزاء! وبذلك نكون متأهّبين لتنفيذ مشيئة الله في كلّ أمرٍ. لقد علّمنا الربّ أن نقول: "فلتكنْ مشيئتُك"، ودعانا إلى السلوك وفق هذا القول. وبقولنا "كما في السماء كذلك على الأرض" يعني أن ننفّذَ مشيئتَه مثلما ينفّذُها ملائكتُه، بسرعةٍ، وكمالٍ، واستمرارٍ، وحبٍّ، مردّدين، عند بدء كلّ عملٍ: "حبًّا بك يا الله سأُقدِم على هذا العمل، وحبًّا بك سأتخلّى عن هذا الأمر لآخر". والربّ نفسه قد ضرب لنا المثل في ذلك، فهو لم يأتِ إلى الأرض إلّا لكي ينفّذَ مشيئة أبيه بافتدائنا، وفي هذا التنفيذ كان يجد متعته.**

- **هل من إنسانٍ أكثر توازنًا، وحرّيّةً، واستعدادًا لإرضاء الله، وتمجيدًا له ممّن ينفّذ مشيئته في كلّ أمرٍ، غير مبالٍ بذاته وبرغباته.**

- لدينا نزعةٌ فطريّةٌ تقتضي أن تتحقّق بسرعةٍ الأعمالُ المفيدة لنا. وعلينا قمع هذه النزعة، وممارسة الاستسلام المقدّس كي نتبيّن مشيئة الله، ونتيقّن أنّه عندما يريد إنجاح أمرٍ، لا تستطيع المواعيد إفشالَه، بل سيُحاط بحكمة الله وقدرته، بقدر ما يتضاءل تدخّلنا فيه.

- لا يكفي أن نعمل ما يطلبه الله منّا، بل ينبغي أن نفعله على خير وجهٍ، ومثلما نفّذ ربّنا مشيئة أبيه على الأرض.

- مَن كانَ متحرّرًا من شؤون الدنيا، ومتوازنًا وثابتًا حيال الأحداث، فالله هو له كلّ شيءٍ، وكلّ ما سواه لا شيء.

- ستضطرم قلوبُكم حبًّا لله، إذا انتشلها موقف الحياد الساجي الذي يساوي بين كلّ ما يصيبُنا من نجاحٍ أو فشلٍ، ومن دواعي فرحٍ أو غمٍّ. وستمتلئ نفوسُكم بحبّ الله، عندما ستعزفون عن حبّ كلّ شيءٍ آخر. وبذلك يضحي هذا الحياد مصدر كلّ الفضائل، ومقبرة كلّ الرذائل.

- من المحقّق أنّ أداء الأعمال بشريًّا، وبمعزلٍ عن أيّ هدفٍ نبيلٍ وسامٍ، مثل تنفيذ مشيئة الله، يقضي على هذه الأعمال

بـالموت. وحتّـى حضـور القـدّاس، والتأمّـل والـوعظ، والعمـل بمنأًى عن التوجّـه إلـى الله، جميـع هذه الأفعال لا روح فيهـا، وعملـةٌ مزيَّفـةٌ، لأنّ الله لا ينظر إلّا إلـى الأشياء المقدّمـة لـه، والتي يرى فيها ذاته.

- فلنجهدْ للتمرّس بالحياد حيال الأحداث، من خلال تجرّدنا من أحكامنا، وإرادتنا وميولنا الخاصّة، ومن كلّ ما ليس الله. إنّ الحياد في مواجهة المِحَن والأفراح فضيلةٌ نشيطةٌ. وإن هي لم تكنْ فاعلةً فليست فضيلةً.

- تقبُّل كلّ الأحداث بموقفٍ واحدٍ مستسلمٍ للمشيئة الإلهيّة هو الذي يحرّر الإنسان، فهو الفضيلة الوحيدة التي تحرّرنا من سيطرة الحواسّ، ومن حبّ المخلوقات. وهذا ما يضفي عليها عظمة شأنٍ، ويوجب علينا التمرّس بها، إذا كنّا راغبين في الانعتاق من عبوديّتنا لفطرتنا ولبهيميّتنا، إذ إنّ المرء الذي ينقاد للجزء الحيوانيّ منه هو بهيمةٌ ولا يستحقّ صفة الإنسان.

- الوسيلة المثلى للحصول على فضيلة التجرّد والسكينة، هي المثابرة على التضحية، داخليًّا وخارجيًّا.

- ميزة هذا الموقف أنّه ينتزع منّا كلّ ضغينةٍ، وكلّ رغبةٍ، وينتشلنا من ذواتنا ومن كلّ الخلائق. تلك هي مهمّته، وهذه هي السعادة التي يسكبها علينا، شرط أن تكون فاعلةً، أي بشرط أن نمتحن ذاتنا متسائلين: "يا نفسي، ما هي رغباتك؟ ما الذي يأسرك؟ هل نحن ننعم بحرّيّة أبناء الله، أم نحن مقيّدون بمتاع الدنيا، وبمسرّاتنا، وبالأمجاد؟" علينا أن نتحرّى ذواتنا كي نكتشفَ قيودَنا، ونحطّمَها.

- إنّ عدم ارتباطنا بأعمالنا وبنتائجها، مع حرصنا على إتقان فعلها، ليس فضيلةً ممتازةً فحسب، بل هو ضرورةٌ قصوى للحياة الروحيّة، ولا سيّما للراغبين في خدمة الله خدمةً كاملةً. إنّه فضيلةٌ تفصم ارتباطَنا بالخلائق وتربطنا بمشيئة الله ارتباطًا من الحميميّة بحيث لا نرغب من ذواتنا شيئًا، ولا نفضّل شيئًا على آخر.

الكهنوت

- أيّتها الإفخارستيّا، أيّتها المؤسّسة الرائعة والسامية التي تتخطّى قدرات الإدراك البشريّ، والتي لا يسعُ الملائكة إلّا تأمّلها بدهشةٍ، والتي لا يقوى لسانٌ على التعبير عنها، ولا عقلٌ على فهمها، كم أنتِ جديرةٌ بأعظم تكريمٍ، فقد ارتضى إلهٌ لامحدودٌ التنازل حتّى الانطواء في مخلوقٍ محدودٍ، والذي لا تستطيع السماء احتواءه، وتحمله الريح على أجنحتها ارتضى أن يختزلَ عظمتَه الفائقة في نفسٍ فقيرةٍ هزيلةٍ، وارتضت الشمسُ إخفاء بهائها في غور مغارة صدرٍ بشريٍّ.
- "يا ربّ، أعطِنا روح الكهنوت الذي أفعم نفوسَ الرسل، والكهنة الأوّلين الذين اقتفوا خطاهم. هبنا روح القداسة الحقّ، العظيم، والإلهيّ الذي أسبغَته نعمتُك على صيّادي سمكٍ بسطاء، ومهنيّين، وقومٍ فقراء في ذلك الزمن. فنحن أيضًا لسنا سوى ضعفاء هزيلين، وقرويّين فقراء، وما أشسعَ البَوْن بيننا نحن البائسين، ومهمَّةٍ فائقة القداسة والسموّ والرفعة السماويّة!

ويا إخوتي كم علينا أن نصلّي من أجل احتياجات الكنيسة الكبرى! فالكنيسة يدمّرها، في أماكن عديدةٍ، سلوك الكهنة المخزي. هم الذين يقضون عليها، ويدمّرونها. ولا ريب أنّ انحلال أخلاق الإكليرُس هو سبب دمار كنيسة الله!".

- "فنّ الفنون هو العناية بالنفوس". هذا كان عمل ابن الله على الأرض. من أجله نزل من السماء، وُلد من عذراء، ووقف كلّ لحظات حياته، واحتمل موتًا أليمًا مُذِلًّا. ولذلك يجب أن تقيّموا، يا إخوتي، أعظم تقييمٍ، ما أنتم مدعوّون لعمله. ولكن ما الوسيلة لأداء هذه المهمّة، واقتياد النفوس إلى الله، ودرء طوفان ذنوب البشر، وعيوب إكليريكيّاتٍ، وتسريب الفضائل المسيحيّة والكهنوتيّة إلى مَن أَوكلَت إليهم العنايةُ الإلهيّة الإسهامَ في خلاصهم وتقديسهم، وإيصالهم إلى الكمال؟ من المؤكّد أنّ لا وسيلة بشريّةً توصل إلى هذه الغاية، سوى عمل الله. وهو عملٌ عظيمٌ، إنّه مواصلة أعمال يسوع المسيح. ولا تستطيع مهارة البشر سوى إفساد كلّ شيءٍ، ما لم يتدخّل الله في الأمر. فلا الفلسفة، ولا اللاهوت، ولا الخطابات تؤثّر في النفوس، ولا بدّ من أن يُعيننا الله، ومن أن نستعين نحن به.

لا بدّ من أن نعمل فيه، ومن أن يعمل هو فينا، ومن أن نتكلّم مثله وبروحه، مثلما هو كان في أبيه... يجب أن تتجرّدوا من ذواتكم، وأن تلبسوا يسوع المسيح.

- السعي إلى إنشاء كهنةٍ صالحين... هو عمل يسوع المسيح، الذي، أثناء حياته على الأرض، جهد في إنشاء اثني عشر كاهنًا صالحًا كانوا رسله. ولهذه الغاية أقام ثلاث سنواتٍ معهم لكي يثبّتهم ويعدّهم لهذه المهمّة الإلهيّة.
- الواعظ الذي يدلي بأقوالٍ عظيمةٍ، وبأسلوبٍ فخمٍ، يخالف روح ربّنا... فالحكمة الإلهيّة تعلّمنا تجنّب الإبهار في الأعمال والأقوال، واستخدام أسلوب عملٍ وقولٍ سهلٍ ومألوفٍ، في حين أنّ إبليس يدفعنا بشدّةٍ إلى ابتغاء النجاح، ويحذّرنا من البساطة.
- المرسَل – أعني المرسَل الحقّ – إنسانٌ لا يتطلّع إلّا إلى الله فحسب. ولا يَنشُد سوى خلاصه وخلاص الآخرين، ولا علاقة له إلّا بما يوثّق اتّحاده الحميم بالله.
- تعلّمنا التجربة أنّ الواعظين الذين يكرزون وفقًا لأنوار الإيمان يؤثّرون في النفوس أكثر من أولئك الذين يحشون خطاباتهم

خـواطر بشـريّةً، وحججًـا فلسـفيّةً لأنّ أنـوار الإيمـان تسـيل، خفيةً، إلى قلوب المستمعين.

- يتوقّع الله من الكهنـة أن يقفوا بينـه وبين المساكين الخطأة، وكـأنّهم موسـى آخـر، كـي يُكرهوه علـى إنقـاذهم مـن الشـرور التي سبّبها جهلهم وخطاياهم، والتـي مـا كـانوا ليُبتَلوا بهـا لـو نالوا ثقافةً، ولو دأب آخرون على ردّهم عن غيّهم. هذه هـي مهمّة الكهنة، فيما أولئك المساكين يهبوننا خيراتهم لكي نقوم بهـذه المهمّـة: ففيمـا هـم يكدحون ويكـافحون البـؤس، نحـن، على غرار موسـى، علينـا أن نظلّ رافعين أيدينا إلـى السماء، من أجلهم. وإن هم عانوا من جرّاء جهلهم وخطاياهم، فنحن المسـؤولون. وسـنظلّ حـاملين جريـرة معانـاتهم مـا لـم نضـحِّ بحياتنا كلِّها من أجل تثقيفهم.
- عندما يدعونا الله إلى حيث يريدنا، يزوّد الوضـع الذي دعانـا إليـه بـالنعَم الضروريّة لخلاصنا. ولكنّـه يحجب هذه النعم إذا تخلّينا عن دعوتنا، ونهجنا دربًا آخر لم يدعُنا إليه.
- مـن العسـير إصـلاح كهنـةٍ سـيّئي السـلوك، اعتـادوا ممارسـة الرذائل.

- لا يسوغ لمن دُعي إلى خدمة القريب، في وضعٍ توافق عليه الكنيسة، التطلّع إلى وضعٍ آخر أكثر انعزالًا بحجّة صون عفّته من تهديد المخاطر، لأنّ ما من وضعٍ يجعل المرء في مأمنٍ من التجارب أكثر من الوضع الذي دعاه الله إليه. وإن هو لم يصُنْ عفّته فيه، فلن يصونها في أيّ مكانٍ آخر.
- السلوك الأمثل وأفضل ما يمكننا انتهاجه هو ارتضاء جميع الأوضاع التي يدعونا الله إليها، والثبات فيها، ما لم نتيقّنْ أنّ الله يدعونا إلى وضعٍ آخر.
- لا يكفي أن تكون عفّة رجال الإكليرُس كاملةً، بل لا بدّ من ألّا يساور أشدّ المراقبين صرامةً أيّ ريبٍ في نصاعة سلوكهم. فعليهم، في حالاتٍ معيّنةٍ، الامتناع عن بعض أعمالٍ حميدةٍ، مثل عيادة مرضى، عندما يقتضي الحذر نأيهم عن أدنى ارتيابٍ قد يسبّبه قيامهم بهذه الأعمال.
- ما من حالٍ، في العالم يخلو من مرارةٍ ومنغّصاتٍ وأسباب نفورٍ. وليس من لا تخامره رغبةٌ في انتهاج دربٍ آخر.
- أعضاء الإكليرُس هم صوَرٌ حيّةٌ لقدرة الله، وعطف الخالق. فعليهم أن يتبادلوا مشاعر احترامٍ ومحبّةٍ متميّزةٍ.

- **ينبغي أن يكون حديث الكاهن وقورًا، بسيطًا، منزّهًا من التصنّع الذي يُفسد، عمومًا، أحاديث الناس.**
- **إنّ إسراف الكاهن في التحدّث إلى ذويه يُفقِدُه تقديرَهم واحترامهم. فما من نبيٍّ في وطنه.**
- **بين جميع الوسائل التي يزوّد بها الله البشر من أجل تقويم أخطاء حياتهم، ليس أكثر إحداثًا لتأثيراتٍ باهرةٍ، ومتعدّدةٍ، ورائعةٍ، من الرياضات الروحيّة.**

غيرةٌ رسوليّةٌ

- **النفس الخاضعة دائمًا لروح الله تصبح قادرةً على تحقيق أعمالٍ خارقةٍ.**
- **الغيرة على خلاص النفوس هي محبّةٌ مضطرمةٌ، ورغبةٌ ملتهبةٌ في إيصالها إلى السعادة الأبديّة، وفاءً لخدمة الله.**
- **لا يقتضي منّا الله قوًى جسديّةً، بل استعدادًا صادقًا لاغتنام فرَص خدمته، وفقًا لمشيئته، ولما يدعونا إليه. وقد يقتضي منّا، إذا شاء، رغبةً حقيقيّةً في التألّم، بل في الاستشهاد.**
- **مَن يطيب له العمل في سبيل خلاص القريب، وفقط بُغيةَ مجد الله، وبالتوافق مع مثال يسوع المسيح، فليتيقّنْ أنّ الله سيكلّل أعماله بأروع نجاحٍ.**
- **يجب أن نمعن في العمل حبًّا بالله، غير عابئين بتقدير البشر، ولنعمل على خلاصهم غير ملتفتين إلى أقوالهم.**
- **علينا أن نكون لله وللقريب بلا تحفّظٍ. ويجب أن تجعلنا محبّتنا لهذا وذاك، دائبي الاستعداد لمواجهة وتحمّل أدهى المصاعب.**

- إنّ خلاص نفسٍ من عظمة الشأن بحيث يقتضي تحقيقه المخاطرة لا بالممتلكات فحسبُ بل بالحياة أيضًا.
- الغيرة التي تواكبها نفحة النعمة والمحبّة تلطّف مرارة التوبة وتفيض العزاء في غمرة الآلام والجهود.
- ينبغي شدّ أزر الخطأة، وإنعاش ثقتهم، في حين أنّ إبليس يلجأ إلى الشدّة والقسوة مع بعضهم لكي يشيع في نفوسهم أعنف اضطرابٍ.
- قد تتلطّى دوافع بشريّةٌ تحت ادّعاء الغيرة وتمجيد الله، وتدفع إلى أعمالٍ لا تمتّ بصلةٍ إلى الله، ولا تكلّلها حكمته بأيّ نجاحٍ.
- الموت الذي يباغتنا ونحن ممتشقون سلاح خدمة ربّنا هو الأكثر مجدًا واشتهاءً.
- دعوتنا هي الطواف في المعمورة من أجل إلهاب قلوب البشر، وفعل ما فعله ابن الله الذي جاء كي يُضرمَ في العالم نارًا، ويلهبَه بحبّه. وما علينا إلّا ابتغاء أن تضطرمَ هذه النار، وتحرقَ كلّ شيءٍ.

- لا يجوز أن نتخلّى أبدًا عن نهج الرقّة والمحبّة، في العلن، أو على انفرادٍ، حتّى ونحن نتعامل مع خطأةٍ متصلّبين، والتحاشي دائمًا عن استعمال المسبّات والذمّ، والتأنيب، والكلام القاسي. فهذه كلّها لا تليق بمَن يسعى إلى إفادة قريبه، وهي، عوضًا من اجتذاب النفوس إلى الله، لا تفضي إلّا إلى إسخاطها، ودفعها إلى مزيدٍ من البعد عن الله.

- خلاص المسيحيّين يعتمدُ على عطف الكهنة وغيرتهم. الكاهن الصالح كنزٌ ثمينٌ.

- علينا أن نكون كلًّا للكلّ، لكي نأتي بالجميع إلى الله.

- لا نُكسبُ لله نفوسَ الأشدّ تصلّبًا في الخطيئة إلّا باللطف، والتعاطف مع عيوبهم، ومقاسمتهم مصائبَهم برقّةٍ.

- لم أُرسَل لكي أحبَّ الله فقط، بل أيضًا لكي أدعوَ إلى حبِّه.

- قد ينتج ثلاثة عمّالٍ أكثر من إنتاج عشرةٍ آخرين، عندما يضع الله يده في عملهم، ويقتضي منهم القيام بما يفوق قواهم.

- **إنّ أسنى نتائج الغيرة على خلاص النفوس هي:**
  - **المخاطرة بالصحّة والحياة من أجل غوث النفوس.**
  - **التألّم الشديد لدى رؤية الإهانات المرتكبة حيال الجلالة الإلهيّة.**
  - **محاولة إصلاح مَن يهينون الله، بحضورنا، بمحبّةٍ وبمراعاة احتياجاتهم الخاصّة.**
  - **تثقيف الفقراء الذين نلتقيهم في أماكن نمكث فيها بعض الوقت.**
  - **والغيرة الرسوليّة على خلاص النفوس تدفعنا إلى:**
    - **أن نفرح بما يحقّقه آخرون من أعمالٍ عظيمةٍ في سبيل مجد الله، وخدمة القريب.**
    - **أن نعبّرَ عن تقديرنا، ونمتدحَ مَن يجهدون في أعمال الرسالة، وأن نصلّي بحرارةٍ من أجلهم، لكي يحفظَهم الله، ويجعلَهم يزدهرون، ويباركَ مساعيهم وينمّي أعمالهم.**

الوعظ

- مع أنّه كان من اليسير على ربّنا أن يقدّمَ للشعب مواعظ ساميةً ومدهشةً، إلّا أنّه اختار تقديم أمثلةٍ عن العامل، والكرّام، والحقل، وحبّة الخردل، وما شابهها.
- يجب أن تُقدَّم المواعظ والتعاليم الدينيّة بأُسلوبٍ بسيطٍ ومألوفٍ، على غرار التعاليم التي تنازل ربُّنا فأدلى بها. لقد كان بوسع ذلك المعلّم الفذّ تفسير الأسرار الإلهيّة بعباراتٍ توازيها سموًّا، بما أنّه كان كلمة الله وحكمته. ومع ذلك لم يستخدم سوى عباراتٍ وتشبيهاتٍ مألوفةٍ لكي تكون تعاليمه بمتناول الشعب، ولكي يعطينا نموذجًا مثاليًّا لطريقة تفسير تعليمه الإلهيّ.
- قبل أن نعلّم الآخرين شيئًا يجب أن نكون قد مارسناه طويلًا. وبهذه الطريقة سيُثمر كلام الله الخارج من أفواهنا مئات الأمثال.
- ليست فخامة الخطاب هي التي تسهم في خلاص النفوس، بل البساطة والتواضع هما اللذان يُشرعان القلوب لعمل النعمة.

- عندما يعتمد رئيسٌ، أو واعظٌ، أو أُستاذٌ على سحر أقواله وحكمته، أو على علمه، وذهنه الخاصّ، ينسحب الله، ويدعه يعمل بمفرده. وحينئذٍ لا تؤتي كلّ جهوده ثمرةً. ويسمح الله بذلك لكي يرسّخ لديه اليقين أنّه، بذاته، غير كافٍ، وأنّ خبراتِه ومواهبَه، بمعزلٍ عن عون الله، لا طائل منها.
- كبرياءُ هي نشدان النجاح في كلّ مكانٍ، والتألّق على المنابر باختيار كلماتٍ جديدةٍ، سعيًا إلى ثناء الناس، وإعجابهم بنا، وتمجيدنا.

يا أيّتها الكبرياء الملعونة، ما أكثر مضارّك! فأنت تجعلين الواعظ يبشّر بنفسه بدلًا من التبشير بالمسيح، مغفلًا النفوس.

- مَن يعظ طمعًا في تصفيقٍ ومديحٍ، وتقديرٍ، إنّما يرتكب تدنيسًا. أفليسَ تدنيسًا استخدامُ كلام الله من أجل اكتساب التكريم والشُهرة؟
- الواعظون المتكلّمون بلغة الإنجيل يؤتون من الثمار أكثر، بلا قياسٍ، ممّن يملأون مواعظهم أقوالًا بشريّةً، وخواطر فلسفيّةً، لأنّ كلام الله مصحوبٌ دائمًا بنفحةٍ سماويّةٍ، تفيض، سرًّا، في قلوب السامعين.

- **حذارِ من روح التباهي الذي يدفع إلى استخدام خواطر رفيعة السموّ في الإرشاد في حين أنّ التواضع والنيّة الصافية في إرضاء الله هما وسيلة إنجاح ما يُعمَل لمجد الله.**
- **ملعونةٌ الرغبة في التألّق! فكم تُفسِد حسناتٍ، وكم تنتج شرورًا، لأنّها تجعل مَن واجبُه التبشير بيسوع يبشّر بذاته، فيدمّر عوضًا من أن يبني.**
- **فلنقلْ ما يتوجّبُ علينا قولُه ببساطةٍ، ووداعةٍ، وتواضعٍ، ولكن بقوّةٍ، وبمحبّةٍ. ولا نسعيَنَّ إلى إرضاء ذواتنا بل إلى إرضاء الله. فكلّ ما سوى ذلك هو كبرياءُ باطلةٌ.**

التواضع

- **التواضع هو أساس الكمال الإنجيليّ، وعقدة كلّ حياةٍ روحيّةٍ، وهو فضيلة جمعيّة الرسالة، ولولاه لما حقّقنا أمرًا ذا بالٍ.**
- **لو امتلكتُ الفضائلَ كلَّها، وافتقرتُ إلى التواضع فليس لديّ سوى الخطيئة، ولستُ سوى فرّيسيٍّ متكبّرٍ، ومرسَلٍ بشعٍ.**
- **نحن لسنا سوى عتّالين لمواهبنا، ولا يحقّ لأحدٍ التباهي بذاته، وإذا حقّق الله بواسطة أحدنا أمورًا عظيمةً فعليه أن يزداد تواضعًا.**
- **فلْيقولوا عنّا ما يشاؤون، ولْيَنعتونا بالجهل ووضاعة المنشأ وحتّى بالنذالة وعلينا أن نتحمّل ذلك... أما قالوا أكثر من ذلك عن الرسل، وأَلَمْ يصفوهم بأشدِّ النمائم قذارةً؟!**
- **لطالما كان العِلْم الخالي من التواضع وبالًا على الكنيسة. ومثلما أَسقطت الكبرياءُ الملائكةَ المتمرّدين، كذلك هي تفعل بالمزدهين بعلمهم. ومن المؤكّد أنّ أكثر الأبالسة جهلًا، يملك من العلم أكثر من أبرع فيلسوفٍ، ومن أعمق لاهوتيٍّ توغّلًا في علمه.**

- **لا يحتاج الله إلى علماء كي يُنجِح أعماله، بل هو يختار، غالبًا، من أجل ردّ البشر إليه، أشخاصًا بسطاء، مثلما كان رسله.**
- **أليس السعي إلى تقدير الناس تعبيرًا عن رغبةٍ في أن نُعامَل خيرًا ممّا عومِلَ ابن الله؟ وأليسَ حماقةً إيثار تقدير العالم على تقديرك يا إلهي، وإيثارًا للظلّ على الواقع، والكذب على الحقيقة؟**
- **المتعلّمون المتواضعون هم كنز الجمعيّة.**
- **لا يصلح للقيام بأعمال الله إلّا مَن يتّصفون بتواضعٍ سحيقٍ، ويزدرون ذواتِهم بصدقٍ.**
- **وحدَه التواضع السحيق يؤهّلنا للاستفادة التامّة من النعَم الخاصّة، التي يتنازل الله ويُسبغها علينا. ولكن ينبغي أن يقترن هذا التواضع بثقةٍ لامحدودةٍ بالعطف الإلهيّ، وبتجرّدٍ تامٍّ عن كلّ ذواتنا، وعن كلّ ما نستطيع فعله بقدراتنا الذاتيّة.**
- **فَلْنكنْ صغارًا، وَلْنفرحْ بصِغَرنا، وإلّا فلن نكون تلاميذ كاملين ليسوع المسيح.**
- **السلاح الأمضى لقهر إبليس هو التواضع.**

- من كلّ وسائل الحفاظ على الاتّحاد مع القريب، وعلى محبّته، الوسيلة الأوفر جدوى هي التواضع المقدّس، ووضع الذات تحت العالم أجمع، واعتبارها الأكثر سوءًا وحقارةً.
- عندما تفقد جماعةٌ التواضع، يُكبّ كلّ فردٍ على مصالحه الخاصّة، وتنشأ الانقسامات والشقاقات.
- البارّ الذي يتخلّى عن التواضع ينبذُه الله، رغم أنّ كلّ أعمالِه صالحةٌ. وما كان يبدو لديه فضيلةً يتحوّل إلى رذيلةٍ.
- الخاطئ الذي يأخذه تواضعٌ صادقٌ، يعترف أمامَ الله بهَوَانه، ويُبرَّر، أو، على الأقلّ، يجد في تواضعه، وسيلةَ خلاصٍ قديرةً، ويبرَّر من خطاياه. وبالمقابل الإنسان المتميّز بأخلاقٍ ملائكيّةٍ، والمزدان بالفضائل الأكثر ندرةً، والمتمرّس بها إلى أسمى درجةٍ، إذا هو افتقر إلى التواضع، فهو يحاكي أسوأَ منبوذٍ، لأنّ جميع فضائله تفتقرُ إلى قاعدةٍ تضمن لها الثبات.
- إنّ الله يمتحنُ بالمهانة مَن يبتغي ترقيتَهم. ولكي نستحقَّ نعمةَ عمله، علينا الإمعانُ في الصلاة، وفي ممارسة شتّى الفضائل، ولا سيّما الصبر والخضوع لمشيئة الله.
- التواضع الصادق يجمع كلّ الفضائل ويُدخلُها جميعَها إلى القلوب.

- فلنرتضِ التحقيرَ الذي نُحاطُ به، على أنّه ملجأٌ أمينٌ ممّا تثيره فينا نزعتُنا الوبيلة إلى الكبرياء.
- قليلون هم الذين يمارسون التواضع ممارسةً صادقةً. لأنّ مَن يقتصر على تأمّل هذه الفضيلة يجدها جميلةً، محبوبةً، رائعةً. ولكن، عندما يشرع بممارستها تبدو له منفّرةً للطبيعة. فما تقتضيه لا يروق لنا، لأنّها تريد منّا أن نلتزم المكان الأخير، وأن نضع أنفسنا أوطأ مع جميع مَن نعيش معهم، حتّى إذا كانوا دوننا منصبًا، وأن نتحمّل، بلا شكوى، ما نُرشَق به من نمائم، وأن نرتضي الازدراء، ونحبّ التحقير، فيما نحن، بفطرتنا، ننفر من كلّ هذه المقتضيات. ومع ذلك لا بدّ لنا من تخطّي هذا النفور، ونجهد في ممارسة التواضع، واقعيًّا، وإلّا لن نكون أبدًا متواضعين.
- لِنَدعْ لله كلّ مجدٍ، ولا نستَبْقِ لذواتنا إلّا الازدراء والخزي، فهذا فقط ما نستحقُّه.
- التواضع هو الفضيلة التي أحبّها ربُّنا حبًّا جمًّا، والتي جاء كي يلقّنها للعالم. وهو فضيلة أمّه القدّيسة، وفضيلة كبار القدّيسين.

- الشهرة باطلةٌ، إن لم تكنْ مرتكِزةً على الحقيقة. ولكنّها عندما تقوم على قاعدة الحقيقة فلا خوفَ من فقدانها.
- عندما نتبيّن أنّ كلّ ما هو فينا أرضيٌّ، ومَشوبٌ بالعيوب، تتوفّر لدينا أسباب تواضعنا أمامَ الله، وأمام البشر، وحتّى مَن هم أدنى منّا.
- فلنقلْ لله ولذواتنا: إذا راودتني خاطرتان، فلن أبوحَ إلّا بأدناها الكفيلة بدعوتي إلى التواضع، وأحبس أكثرهما جمالًا، كي أقدّمها لله ضحيّةً، في سرّ قلبي.
- في بساطة الأقوال والأفعال يقيم روح يسوع المسيح. ومن العبث البحث عنه في مكانٍ آخر.
- فلنرَ في الآخرين رؤساء لنا، ولنخضعْ لهم، حتّى إذا كانوا أدنى منّا منصبًا، ولنُحِطهم بكلّ مبادرات الاحترام والخدمات. وكم سيكون من دواعي فخرنا ومصلحتنا أن يتنازلَ عطفُ الله، ويثبّتَنا في هذه الممارسة.
- إذا كافحنا الشرّير بروح الكبرياء والادّعاء، فلن نتمكّنَ منه، لأنّه يملك من الكبرياء والادّعاء أكثر منّا. ولكن إذا كافحناه بتواضعٍ، فسنقهره، لأنّ الشرّير لا يملك هذا السلاح، ولا يعرف استعمالَه.

- المتواضع الحقيقيّ يعدّ نفسه الأكثر نقصًا وذنوبًا، ويعدّ عمًى خفيًّا إخفاقَه في تبيّن عيوبه التي يراها الجميع.
- فَلْننصرفْ بعزيمةٍ، يا إخوتي، إلى التمرّس بالفضيلة، ولا سيّما فضيلة التواضع، التواضع، التواضع.
- الوسيلة المجدية لصون تواضعنا: أن نشيح بأبصارنا عمّا فينا من خيرٍ، وأن نتبيّنَ دخيلتَنا، وكلّ ما فينا من شرورٍ وعيوبٍ.
- يملأ الله القلب الذي أُفرغ من ذاته، وأمسى له وحده، وهو فيه يُقيم، وفيه يعمل. وإنّما يفرغنا من ذواتنا ارتضاؤنا المهانة، والتواضع المقدّس، فحينئذٍ لن نكون نحن مَن نعمل، بل سيفعل الله فينا.

  إنّ ذلك يعارض روح العالم وممارساته، وهو غريبٌ عن نزعات الإنسان، وعن طبيعة كلّ فردٍ، بحيث لم يكن ليرضى أحدٌ بسماعه، لو لم يقُلْه الله نفسه، ولو لم ينفّذه.
- ابدأوا بالزهيد، وارتضوا بالمهانة. هذه هي وسيلة استدرار النعَم.
- من يؤمن بيسوع المصلوب لا يضيره أن يُعَدّ، نظير يسوع، أدنى البشر بل أسوأَهم.

- التواضع يردعنا عن نشدان أيّ تقديرٍ غير تقدير الله الذي يثمّن كلّ شيءٍ. وإنّه لجنونٌ أن نؤثرَ تقديرَ العالم على تقدير الله، لأنّنا، بذلك، نؤثر الخيال على الواقع، ونؤثر الكذب على الحقيقة.
- التواضع هو تقبّل الازدراء، والرغبة في التعرّض للتحقير، والابتهاج به عندما يحدث من أجل حبّ الله. قد يكون ذلك صعبًا، ولكن ما الذي لا يقوى عليه الإنسان المدعوم بالنعمة؟ فلنرتضِ بأن نُعَدَّ هزيلي الفكر، مزعجين، مجرَّدين من الفضائل، مبتلين بكلّ أنواع النقائص، مستحقّين الشتيمة والنبذ، جهلاء، مذمومين، فاسدين، لا نُطاق.
- لا ريب أنّ ذلك شاقٌّ، ولكن عندما يتعيّن تقبّله حبًّا بالله، فالله وعد بمكافأة ممارسة التواضع بامتيازاتٍ جمّةٍ، رافعًا الأخيرين إلى المرتبة الأولى، ومرتقيًا بالمتصاغرين إلى أرفع المناصب.

الكبرياء

- **الكبريـاء لا تهـادن أبـدًا، وتهـاجم كبـار القدّيسـين بشـتّى الأساليب، فتغري بعضًا بأن يتباهوا، باطلًا، بما يفعلونه من خيرٍ، وتدفع آخرين إلى الاعتزاز بعلمهم؛ توهم هذا بأنّه الأسمى كمالًا، وتوهم ذاك بأنّه يفوق الجميع ثباتًا ومثابرةً.**
- **العُجبُ يسمّم النفسَ التي يتسرّب إليها. إنّه طاعونٌ يسرّب وباءه إلى أكثر الأعمال قداسةً، وينسينا الله بسرعةٍ. إنّه العيب الأدهى وبالًا على كلّ تقدّمٍ في الحياة الروحيّة وفي الكمال.**
- **خيرٌ لنا أن نُلقَى بأكملنا في النار من أن نعملَ بغيةَ إرضاء البشر.**
- **عندما تغرينا الكبرياء بالتعالي، علينا أن نتواضع. وعندما توحي إلينا أفكار تقديرٍ لذواتنا، ينبغي أن نُعمِل الفكر في وهننا وعجزنا. وعندما تدفعنا إلى إبراز ذواتنا، يجب أن ننأى عن كلّ ما يُظهِرنا، وإيثار الأعمال الوضيعة والحقيرة على الأعمال العظيمة الجديرة بالتكريم.**

- **الكبرياء رذيلةٌ مُفسِدةٌ، وعلينا خشيتُها بقدر ما تدفعنا إليها ميولنا الطبيعيّة بقوّةٍ. وعلينا أن نظلَّ ساهرين على مقاومتها، والعملُ بخلاف ما ترغب الطبيعة الفاسدة.**
- **حِيَل إبليس الماكرة تلهمنا تذوّق سماع الأحاديث عن الله، وبذلك تحملنا على التباهي بهذه الرغبة. إنّ المجرِّب يسمّم نفوس الذين من خلال هذه الحجّة يفتحون للشرّير أبوابَ قلوبهم.**

الصبر

- **ما من حالٍ في العالم، منزّهةٌ من المرارة والتقزّز، وتحول دون تطلّعنا إلى طريقة حياةٍ أُخرى.**
- **الافتراء هي دعوةٌ لنا كي نشكرَ الله، وكي نبتهجَ لأنّنا لم نقُم بما نُسب إلينا. ونحن نَسعدُ عندما يُنعم الله علينا بالتألّم من أجل الحقّ، وارتضاء الازدراء والخزي، ومقابلة الشرّ بالخير.**
- **الكمال يتمثّل في إنكارنا لذاتنا، وفي حمل صليبنا، وفي اتّباعنا يسوع. وإنّما يمعن في إنكار ذاته، ويجيدُ حملَ صليبه، ويتبع يسوع عن قربٍ، ذاك الذي لا يحقّق، أبدًا، مشيئتَه الخاصّة، بل يحقّق مشيئة الله في كلّ حينٍ.**
- **يجب أن نتمثّل بيسوع المسيح، قدّوس القدّيسين، الذي ارتضى أن يُتَّهم بشرٍّ لم يقترفْه، ومع ذلك لم يتلفّظ بكلمةٍ تزيل عنه هذا العار.**
- **نفسٌ دائمةُ السكون تحاكي مستنقعًا راكدًا، يَأسَنُ ماؤُه، ويبعثُ روائحَ كريهةً، في حين أنّ النفسَ الخاضعة للتجارب تحاكي ماءً جاريًا، دائمَ الصفاء، ودائم العذوبة.**

- ما نتحمّله بصبرٍ، من أجل عملٍ صالحٍ، يكتسب لنا النعم الكفيلة بإنجاحه.
- لا مفرّ من المعارضات في أيّ مكانٍ. ويكفي أن يكون شخصان معًا كي تنشأ بينهما مناسباتٌ لممارسة الصبر. وحتّى إذا كان المرء وحيدًا فهو يحتاج إلى الصبر لأنّ حياتَنا البائسة زاخرةٌ بالصلبان.
- في العواصف التي تثيرها فينا النميمة، وفي الشتائم التي ترهقنا بها، علينا، إذا كنّا صادقين في تطلّعنا إلى الكمال، العزوف عن السعي إلى تبرير ذواتنا، بل علينا تقبّل الخزي، وتحمّل كلّ شيءٍ بصبرٍ، والاستسلام لله، بانتظار أن تحين ساعته.

الفطنة

- **الفطنة، في أمور هذا العالم، لا تُعنى إلّا بالشؤون الزمنيّة، وهي، غالبًا، مشبوهةٌ، ولا تستخدم إلّا الوسائل البشريّة المريبة.**
- **إنّ الفطنة المقدّسة التي ينصحنا بها يسوع في الإنجيل تستهدف، دائمًا، غايةً إلهيّةً، وتستخدم الوسائل المتوافقة مع هذه الغاية.**

ثمّة طريقتان من أجل اختيار الوسائل: أولاهما هي استشارة العقل، مع أنّه، عمومًا، واهنٌ، وثانيتهما هي استشارة الإيمان، والحِكَم التي لقّننا إيّاها يسوع المسيح، والتي لا تخطئ.

- **لا شيء أكثر مقاومةً للنجاح من التسرّع. والتمهّل، عمومًا، يؤتي من الجدوى أكثر ممّا يؤتي ضررًا.**
- **الفطنة المسيحيّة الحقّة تدفعنا إلى إخضاع فكرنا لوصايا الإنجيل، بمعزلٍ عن خوف الخطأ، وتعلّمنا الحكم على الأُمور مثل حكم يسوع عليها، وأن نتكلّم ونعمل مثلما كان يسوع يتكلّم ويعمل.**

- من شأن الفطنة ضبطُ الخطابات والأعمال، وتعلّمنا التكلّم بحذرٍ لائقٍ، وبالأُسلوب الذي تقتضيه ظروف الزمان والمكان، والأشخاص، وموضوع البحث. وهي تحظر علينا كلّ خطابٍ يسيء إلى الله وإلى القريب، وكلّ قولٍ يمالق كبرياءنا، أو يستهدف غايةً ذميمةً.

- يُخشى أن تكون النصيحة المعطاة بتسرّعٍ، وبلا تمعّنٍ، آتيةً من الرأي الذاتيّ، لا من روح الله.

- فضيلة الفطنة ضروريّةٌ جدًّا للتوافق مع الوضع الماثل، ومع استعدادات جميع مَن ينبغي التعاطي معهم: فهي تعلّم الحذر في الأفعال، والأقوال، وتجنّب كلّ ما قد يُسيء إلى أيٍّ كان، وكلّ ما من شأنه جرح التواضع والمحبّة.

- الفطنة تجعلنا نعمل بحذرٍ، من أجل الغاية التي استهدفناها. الإنسان الفطِن يعمل وفقَ الطريقة الملائمة، وفي الوقت المناسب، ومن أجل الغاية اللائقة، أي إنّه يعمل من أجل الله ويستخدم الوسائل الأكثر صلاحيّةً، والطريق الأكثر استقامةً وسلامةً، من أجل بلوغ الغاية المنشودة.

- إنّ الذين، بدافع خوفهم المفرط من أدنى إزعاجٍ، أو ألَمٍ، يتجنّبون التعب، ويعدّونه ضارًّا بصحّتهم، هم فطنون حسب الجسد، ولكنّهم أقزامٌ، وعبيد حواسّهم.
- عندما يوقن الإنسان أنّه فعل كلّ ما هو مطلوبٌ منه من أجل إنجاح عملٍ، فليُقِمْ في الهدوء والسلام، مهما حدث.
- مَن يضع ثقته في البشر، ومَن يعتمد على مواهبه الطبيعيّة، أو على الموارد التي ينعمُ بها، لا يثق بالله، وينأى بنفسه عنه تعالى.
- لا تُخدَش السلطةُ المعطاة للرؤساء، عندما هم يستشيرون مرؤوسيهم، في الأُمور الجارية، لا بل، على نقيض ذلك، يفضي النجاح الذي يواكب هذه المبادرة إلى جعل سلطتهم أكثر محبّةً واحترامًا، ويباركها الله.
- عادةً تتحقّق أعمال الله تدريجيًّا، تبدأ ببطءٍ وتتقدّم. فلا نزعمنَّ قدرتنا على إتمام كلّ شيءٍ دفعةً واحدةً. ولا نظنَّنَّ أنّ كلّ شيءٍ قد أُضيع لأنّ النجاح يستلزم عنايةً وصبرًا. بل فلنسِرْ خطوةً، خطوةً، موجّهين كثيرًا من الدعاء إلى الله.

- **ليس، دائمًا، مناسبًا أن نعمل كلّ ما نستطيع عمله، بل علينا الاكتفاء بما تقتضيه المحبّة، وما يتوافق مع مشيئة الله، متمثّلين بربّنا الذي لم يشأ أن يفعل كلّ ما كان بوسعه فعله.**
- **عندما تنتابنا رغبةٌ حادّةٌ في إتمام عملٍ هامٍّ، حتّى إذا كان مقدّسًا، علينا إرجاؤه إلى وقتٍ لاحقٍ، بانتظار أن يستقرّ السجوّ والتسليم في قلبنا لكي لا يدنّس حبّ الذات نقاء نوايانا.**

المثابرة

- **ليس أكثر مثابرةً وثباتًا في عمل الخير من الودعاء. أمّا الذين يستسلمون بسهولةٍ للغضب، فهم، عمومًا، متقلّبون، ويعملون وفق نزواتهم، ووفق دوافع الطبيعة. وهم يحاكون سيولًا لا تُظهر قوّةً واندفاعًا إلّا في حال طوفانها، وتخمد حالما تُفرِغ محتواها، في حين أنّ السواقي، التي تمثّل الودعاء، تسير بلا ضوضاءَ وبهدوءٍ، ولا تنضب أبدًا.**
- **لا يجوز التخلّي عن مشروعٍ استُهلَّ بعد تروٍّ، أيّةً كانت العقبات التي تعترض طريقه.**
- **إنّ ما نعانيه بصبرٍ، أثناء قيامنا بعملٍ خيريٍّ، يؤتينا النعم الضروريّة الكفيلة بقيادة العمل إلى النجاح.**
- **إنّ القرارات المتّخذة بعد إعمال فكرٍ مستفيضٍ، واستشاراتٍ وافيةٍ، هي مرضيّةٌ لدى الجلالة الإلهيّة، فينبغي مقاومة كلّ نزعةٍ إلى التوقّف عن إتمامها.**
- **نعمة المثابرة هي من أجلّ النعَم، لأنّها تتويجٌ للنعَم جمعاء.**

- **عندما نتبيّن إرادةَ الله حول عملٍ، ينبغي متابعته بجرأةٍ، أيّةً كانت العقبات التي تنهض في وجهه، والمضيّ به إلى غايته مُبدين من الثبات والمبادرة، بقدر ما تكون العوائق جسيمةً.**

الفقر

- **ما أجمل أن نرى الفقراء كما يراهم الله، وأن نقدّرهم مثلما قدّرهم يسوع المسيح!**
- **يُسبغ الله علينا نعمةً كبرى عندما يحرمنا ممّا قد يجعلنا مختلفين عن يسوع المسيح، الذي لم يملك لنفسه متاعًا خاصًّا.**
- **يبلغ المرء ذروة الغنى عندما يتشبّه بيسوع المسيح الفقير.**
- **ننال السعادةَ عندما يضعنا الربّ في حالٍ يمكّننا من تكريم فقره بفقرنا. وحينئذٍ نواجه ضرورةَ الاعتماد، في كلّ شيءٍ، على العناية الإلهيّة. ويا لها من ضرورةٍ مباركةٍ! وما أكثر المناسبات التي تضطرّنا إلى التماس ألطاف تلك العناية، وإلى التعاطف مع بؤس الفقراء، وممارسة أعمال صبرٍ، وتواضعٍ، وتضحياتٍ، وتوافقٍ مع مشيئة الله!**
- **يساعدنا نور الإيمان على أن نكتشف، في الفقراء، صورة ابن الله الحقيقيّة، فهو لم يكتفِ بأن يكون فقيرًا، بل أراد أن يُدعى معلّم الفقراء، وطبيبهم، وأباهم.**

- بقدر ما نتوغّل في الفقر يترتّب علينا الإمعان في الثقة بالعناية الإلهيّة، التي يجب أن نستسلمَ لها، استسلامًا تامًّا، سواءٌ من أجل الخيرات الزمنيّة، أو من أجل الخيرات الروحيّة.
- يحبّ الله الفقراء، وبالتالي يحبّ مَن يعاملون الفقراء بمودّةٍ. فمن يحبّ كائنًا يحبّ أصدقاءه وخدّامه.
- لا ريب أنّ مَن يوكلُ إليه الله إسعافَ فقراءَ، لا يتذوّق، في غوثهم، من المتعة، أقلّ ممّا يتذوّق أبٌ عطوفٌ، وهو يؤاسي أبناءَه.
- من أحبّ الفقراء، أثناء حياته، لن يرتعد وهو يشهد اقتراب موعد وفاته.
- فلنألفِ الوضاعةَ، ولنبتهجْ بفقرنا. وإلّا لما كنّا تلاميذ حقيقيّين ليسوع الذي قال: "طوبى للفقراء، لأنّ ملكوت الله لهم".
- بخدمتنا الفقراء، نخدم يسوع المسيح.
- تعود راهبةٌ المرضى، عشر مرّاتٍ، في اليوم، وعشرَ مرّاتٍ في اليوم، تلتقي الله.
- على اليد أن تتوافق، بقدر المستطاع، مع القلب.

- يقول القدّيس أوغسطينُس: ما نراه ليس مؤكّدًا، لأنّ حواسّنا تخدعنا. ولكنّ حقائقَ الله لا تخدع. اِذهبوا وشاهدوا المحكومين بأعمالٍ شاقّةٍ، المقيّدين بالسلاسل، تجدوا الله. واخدموا الأولاد الصغار تجدوا الله، وعندما تمضون إلى بيوتٍ فقيرةٍ تجدون فيها الله.
- فَلْنحذرْ من تقييم فلاّحٍ فقيرٍ، أو امرأةٍ فقيرةٍ، وفق ظاهرهما، ولا وفق ما يتبيّن من قدراتهما الذهنيّة، ولا سيّما أنّهما، غالبًا، لا يُظهِران وجهَ بشرٍ عاقلين، ولا ذهنَهم، بسبب إغراقهم في الفظاظة والسوقيّة.
- يجب التعامل مع الفقراء بكثيرٍ من العطف والاحترام، وبرقّةٍ، لأنّهم هم من سيفتحون لنا باب السماء، ففتح باب السماء هو امتيازهم. والربّ قال: "اتّخذوا لكم أصدقاء بالمال الخدّاع، حتّى إذا أدركه الزوال، قبلوكم في المظالّ الأبديّة" (لوقا ١٦: ٩). علينا، إذن، معاملتهم برقّةٍ واحترامٍ، ذاكرين أنّنا، بخدمتهم على هذا النحو، إنّما نخدم ربّنا، الذي يعدّ كلّ ما يُقدَّم للفقراء تقدمةً له.
- من أجدى وسائل اتّحادنا بالله ممارسة الفقر.

- لا يكفي أن نخدمَ الله، ونغيثَ الفقراء، بل ينبغي السعي إلى فعل ذلك، بطريقةٍ مثلى.
- المحبّة تعلو على كلّ نظامٍ، ويجب أن تخضع لها جميع الأنظمة. إنّها سيّدةٌ عظيمةٌ، وينبغي تنفيذ كلّ ما تأمر به. عندما يدعونا الله إلى الصلاة، وفي الآن عينه يدعونا إلى خدمة الفقير المريض، فهذا يُدعى ترك الله من أجل الله.
- التديُّن الحقيقيّ هو تديُّن الفقراء، الذي يُغنيهم الله بإيمانٍ حيٍّ، فيؤمنون، ويلمسون، ويتذوّقون كلمات الحياة. وفي ورطة عِلَلهم، وأحزانهم، وعوزهم، لا ترونهم أبدًا، أو ترونهم نادرًا، يضجّون نفاد صبرٍ، ويتذمّرون، ويشكون.
- المسيحيّون هم أعضاء جسدٍ واحدٍ، وأعضاءٌ بعضهم لبعضٍ، فعليهم أن يتعاطفوا. فالمسيحيّ الذي يرى أخاه مغتَمًّا، ولا يشاركه دموعه ومرضه، وهمومه، إنّما هو يفتقر إلى المحبّة، ومسيحيّته مجرّد طلاءٍ، وهو خالٍ من الإنسانيّة، وأسوأ من البهائم.
- مَن تسكنُهم المحبّة الحقيقيّة، يُظهرونها في الخارج. فمن طبيعة النار أن تضيء وتدفئ ومن طبيعة المحبّة أن تسبغ احترامًا ولطفًا على الشخص المحبوب.

- فليهبْنا الله نعمةَ التوافق الدائم بين سلوكنا ومشاعرنا، وسلوكه ومشاعره... جميع المعمّدين يلبسون روحه، ولكن لا يفعل جميعهم أفعالَه. إذن، على كلٍّ منّا السعي إلى التوافق مع الربّ، لكيلا نكون مخلَّصين فحسب، بل أيضًا مخلِّصين على غراره، من خلال تعاوننا معه على خلاص النفوس.
- من المؤكّد أنّ المحبّة، عندما تسكن نفسًا، تحتلّ كلّ طاقاتها، وتحرمها الراحة، لأنّها نارٌ دائمة الاضطرام، وتبقي النفس التي تلهبها في دأبٍ وقلقٍ مستمرَّيْن.
- قد يكون الشعور رائعًا، وشرارة إشعالٍ، ولكنّه ليس كلّ المحبّة، فالمحبّة الناضجة تقتضي توظيف كلّ طاقات الإنسان، توظيف المرء بكلّيّته.
- علينا معاملة الفقراء بجمٍّ من الرقّة والاحترام، متذكّرين أنّنا، من خلالهم، نخدم ربّنا نفسه... إذا كان مريضًا، فأنا، أيضًا، مريضٌ. وإن كان سجينًا فأنا، أيضًا، سجينٌ. وإذا كان مكبّلًا بقيودٍ، فأنا، أيضًا، مكبّلٌ بها.
- لا أحد، حتّى فرنسيس الأسّيزيّ، يضع يدَه بيد الفقر، تلقائيًّا، إن لم يجمعهما الله.

- لقد وعد الربّ بمكافآتٍ أبديّةٍ من يعطون فقيرًا كأس ماء... وهذا الوعد هو مدعاةُ ثقةٍ كبرى. فإن كان الربّ يعطي سعادةً أبديّةً لمن يجودون بكأس ماءٍ، فما عساه يُعطي ابنةَ محبّةٍ تتخلّى عن كلّ شيءٍ، وتهب ذاتها لخدمة الفقراء مدى حياتها؟ لا يمكنها تصوّر ما سيعطيها، ويحقّ لها توقّع أن تكون في عداد مَن سيقول لهم، ولهنّ: "تعالوا يا مباركي أبي، وخذوا المُلْكَ المعدَّ لكم".
- وراء التصريحات العامّة والمجرّدة، لا يسوغ، أبدًا، أن ننسى أنّ هناك وجوهَ رجالٍ ونساءٍ، وجماعاتٍ بشريّةٍ لا يحيط بها إحصاءٌ، وكلُّ فردٍ منها هو فريدٌ، لا يمكن استبداله، ولن يوجد، يومًا، كائنٌ بشريٌّ آخر، مثيلٌ له.
- التعاطف هو الذي جاء بالربّ من السماء، لأنّه رأى البشر محرومين من مجده ولأنّه تأثّر بمعاناتهم. وعلى غراره يجب أن نرقَّ لقريبنا المفجوع، ونقاسمَه أساه. كم كنتَ متعاطفًا مع المعانين، أيّها القدّيس بولس! ويا ربّنا ومخلّصَنا الذي ملأ قلب رسوله بروحه وعطفه، اجعلنا نقول معه: "مَن يمرض ولا أمرض أنا؟".
- نذرُ جمعيّتنا الرابع هو المثابرة على خدمة الفقراء.

- إنّ تبشير الفقراء هو، بامتيازٍ، عملُ ابن الله، ونحن تولّينا هذه المهمّة بصفتنا أدواتٍ يتابع بها ابن الله من السماء ما فعله على الأرض.
- أيّها المخلّص... ما تُرى يحلُّ بنا إذا كنّا متشبّثين بخيرات الأرض. وبعد أن شهدنا مثال فقر ابن الله، عسى أن يعزف مالكو الخيرات والثروات على الاستئثار بها. وعسى ألّا يرغب فيها مَن يفتقرون إليها.
- عمل الربّ الأوّل على الأرض كان الفقر، وتعليمه الأوّل كان: "طوبى للفقراء..."
- الفقر هو الحصن المنيع الذي سيحفظ جمعيّتنا، بعون الله.
- نحن نحيا بإرث يسوع المسيح، وبعرق الفقراء. وعلينا أن نجيل في فكرنا، ونحن قاصدون المائدة: "هل استحققتُ بجهدي الطعام الذي سأتناوله؟". غالبًا ما يستحوذ عليّ الخجل، عندما أفكّر: "أيّها البائس، هل استحققتَ الخبز الذي ستتناوله، هذا الخبز الناتج عن عمل الفقراء؟". وإن لم نستحقّه، مثلهم، فلنصلِّ من أجل احتياجاتهم. إنّ البهائم تعرف الذين يطعمونها. والفقراء هم الذين يطعموننا، فلندْعُ الله من أجلهم. ولا يمرّنَّ يومٌ لا نقدّمهم فيه لله.

السيّدة الفقر

- منذ لحظاتٍ كنت أتساءل هل الفقر هو من الجمال الفائق بحيث كان القدّيس فرنسيس الأسّيزيّ يدعوهُ سيّدتَه. ما أروع الفقر! يبدو لي أنّه يزدان بكلّ الامتيازات، ولو أُتيح لنا أن نراه عن كثبٍ، لعشقناه، ولما طِقنا، من بعدُ، الانفصال عنه، ولأحببناه أكثر من كلّ خيرات العالم. آه! ليت الله يميط الحجاب الذي يحول دون مشاهدتنا كلّ هذا الجمال! ولو بنعمة الله، أُزيحت كلّ الحجُب التي يضعها العالم، وتضعها أنانيّتنا أمام عيوننا، لسحرتنا مفاتن هذه الفضيلة، التي كانت فضيلة ابن الله الأثيرة، وهو أوّل من لقّنها، وابتغى أن يكون سيّدها.

من قبله كان الفقر مجهولًا، ولم يشأ الربّ أن نعرفَه عن طريق الأنبياء، بل احتفظ لنفسه بتلقيننا إيّاه. لقد جاء كي يعلّمناه، حين لم يكن أحدٌ يقيم للفقر وزنًا، أو يعرف أفضاله...

نصيبنا، إذن، أيّها السادة، ويا إخوتي هو الفقراء. ويا لها من سعادةٍ أن نعمل ما جاء ربّنا من السماء إلى الأرض من

أجلـه، وهـا نـحـن نمضـي مـن الأرض إلـى السمـاء، كـي نتـابـع عمـل الـربّ، الـذي نـأى عـن المـدن، وقصـد القـرى، بحثًـا عـن الفقراء. هذا، بالتحديد، ما يدعونا إليه نظام جمعيّتنا: إغاثة الفقـراء، سـادتنا ومعلّمينـا. بـورك نظـام جمعيّتنـا الـذي يلزمنـا بخـدمتهم، والانصـراف عـن المـدن، وهـو أمـرٌ غيـر مـألوفٍ. وبورك الذين ينفّذون هذا النظام لأنّهم ينفقون حياتهم، وكلّ أفعالهم مع أعمال ابن الله وحياته... وفعل ما جاء ابن الله إلى العالم من أجل فعله. إنّ وجود جمعيّةٍ، وبالتحديد جمعيّة الرسالة، المؤلَّفة من فقراء لا همّ لها سوى الطواف في القرى، والدساكر، بعيدًا عن المدن، واقعٌ لم يحدث من قبل، من أجل التبشير بالإنجيل للفقراء فقط، وفق مقتضيات نظامنا.

تجرّدٌ

- لم يسمح يسوع للتلميذ الذي شرع يسير في إثره، بالذهاب من أجل دفن أبيه. والربّ لا يعدّ تلميذًا لـه مَن لا يترك أباه وأُمّه، ومن لا يتخلّى حتّى عن ذاته، من أجل الانقطاع للرسالة.
- الخطوة الأولى على طريق اتّباع يسوع هي التخلّي عن الذات، أي عن المشاعر والأهواء، والإرادة الخاصّة، وعن الحكم الذاتيّ، وعن كلّ النزعات الفطريّة.
- النفس التي ما برحت ممتلكةً ذاتها، ومتمسّكةً بإرادتها الخاصّة، تفتقر إلى فضيلةٍ متينةٍ.
- ما من كمالٍ أسمى، ولا أقدس من الاستسلام لمشيئة الله، الذي يقيمنا في تجرّدٍ تامٍّ عن ذواتنا، وفي تسليمٍ متساوٍ بكلّ الحالات التي قد نجد أنفسنا فيها.
- الفضول هو طاعون الحياة الروحيّة. ففضول أبينا الأوّل هو الذي أدخل إلى العالم الجوع، والأمراض، والموت وشتّى العلَل. فعلينا أن ننأى عنه بصفته مصدر كلّ الرذائل.

البساطة

- **البساطة تتّجه صوب الله الذي يرنو إليها بعين الرضى. والبساطة تجعلنا شبهاء بالله، الكائن الأسمى بساطةً، والذي لا يرضى أن يخالطه شيءٌ.**
- **بما أنّ مكر البشر ومواربتهم سائدان، فمن واجبنا مكافحة هذين الشرّين وقهرهما، بروح يسوع المسيح، أي بالصراحة والبساطة، وبانتباذ كلّ ازدواجيّةٍ وخداعٍ، والعزوف عن الاتّكاء على نفاق البشر وسياساتهم.**
- **باعتمادنا البساطة، نسير مباشرةً إلى الله، مغفلين مصلحتنا الخاصّة، والحياء البشريّ، متكلّمين وعاملين بلا تنكّرٍ، ولا خداعٍ، وملتزمين بالحقيقة، وصفاء النيّة، ونائين بأنفسنا عن كلّ رياءٍ.**
- **فلتَقُد البساطة أعمالنا، ولا نسعَ إلّا في سبيل الله، سواءٌ في الأُمور الزمنيّة، أو في ميادين التقوى، ساهرين على ألّا يشوبَها رياءٌ، أو ادّعاءٌ باطلٌ. أجل، فلنسعَ إلى خدمة الله وتمجيده، غير مبالين بما قد يقوله البشر أو يفعلونه.**

- البساطة تفرض توافق أقوالنا مع مشاعر قلوبنا. غير أنّها لا تلزمنا بإظهار كلّ أفكارنا الكمينة. فالبساطة لا تتعارض مع الفطنة، وهي تساعدنا على التمييز بين ما يتعيّن علينا قوله، وما ينبغي علينا السكوت عنه، وترشدنا إلى الوقت الملائم للكلام، والوقت الملائم للصمت.
- المشاريع التي تُباشَر بأساليب بسيطةٍ ومألوفةٍ تحظى بعطف الله أكثر من تلك التي تُستَخدم فيها وسائل خارقةٌ وباهرةٌ.
- روح يسوع هو روح استقامةٍ وصدقٍ. على المدعوّ إلى تمجيد هذا الإله المخلّص أن يقتدي بروحه.
- النفاق لا يروق لله. فعلى من ابتغى البساطة، حقًّا، ألّا يستهدف سوى رضى الله وحدَه.
- خير سلاحٍ للقضاء على الرياء والاحتيال هو الصراحة والبساطة.
- الشهرة باطلةٌ إن لم ترتكز على الحقيقة. ولكنّها عندما تقوم على هذه الركيزة، فلا خوف من فقدانها.
- الله بسيطٌ، لا بل هو البساطة عينها. ومن ثمّ حيث البساطة، هناك الله.

- **الوسيلة المثلى من أجل أن نجتذب إلى الله أشخاصًا اعتادوا استخدام البراعة والحيلة هي التعامل معهم بأكبر قدرٍ من البساطة.**
- **بساطة المظهر، والقدوة الصالحة هما وعظٌ صامتٌ، ولكنّه جزيل الجدوى، وهو المعيار الذي يميّز بين مَن هم، جوهريًّا، خدّام الله، ومن هم عبيد حواسّهم.**

وداعةٌ، ورقّةٌ، ولطفٌ

- **الخطوة الأولى في ممارسة الوداعة هي مقاومة ما يعارضها، مثل مقاومة الغضب، حالما نشعر به، أو ممارسة الغضب المقدّس ممارسةً لا تنزع عنه الرقّة...**

والخطوة الثانية إظهار الكثير من المودّة ومن سجوّ النفس حيال المتّصلين بنا، بحيث نكون لهم مصدر عزاءٍ ومؤاساةٍ. أمّا الخطوة الثالثة فهي تجاهل الإساءة، والإحجام عن إظهار تأثّرنا بها، ومحاولة عذرها، داخليًّا، باعتبارها حدثت بلا قصدٍ من المسيء، وبردّ فعلٍ متسرّعٍ منه؛ وأخيرًا، إقصاء الأمر عن فكرنا، والسكوت عن أقوال المسيء الخبيثة، والامتناع عن الردّ عليها، والتظاهر بعدم سماعها.

- **يُشاهَد، أحيانًا، أشخاصٌ يُظهرون وداعةً كبرى، في حين لا تكون وداعتهم سوى نتاج طبيعتهم المعتدلة، وفي حين هم مفتقرون إلى الرقّة المسيحيّة المتميّزة بقمع وخنق ثورات الرذيلة المناقضة للفضيلة. فليس عفيفًا من لا تساوره رغباتٌ عكرةٌ، بل العفيف هو مَن إذا ساورته هذه الرغبات يقاومها بحزمٍ.**

- لا تدعونا الوداعة إلى غفران ما نتلقّاه من إهاناتٍ وظلمٍ فقط، بل تدعونا، أيضًا، إلى التعامل برقّةٍ مع مَن يهيننا ويظلمنا، بأقوالٍ رقيقةٍ. وحتّى عندما تبلغ بهم الإهانة إلى صفعنا، فلنتقبّل الصفعة حبًّا بالله، وحتّى إذا أُلقي القبض على خادم الله المتمرّس بالوداعة، فهو يقدّم لله هذه المعاملة القاسية، ولا يتخلّى عن سجوّ نفسه.
- أظنّ أنّ النفوس المتمرّسة بفضيلة الوداعة هي التي تنفرد بنعمة تمييز الأُمور؛ فكما يفسد الغضب العقل، تنعم فضيلة مقاومته بالتمييز.
- الوداعة الزائفة رخوةٌ وجبانةٌ، ومستسلمةٌ. أمّا الوداعة الحقّة، فلا تنفر من الشدّة في عمل الخير، لا بل هي دائمًا ملتصقةٌ بها، كما أنّ جميع الفضائل الحقّة ملتصقةٌ بها.
- الرقّة ومساندة القريب هما منبع سلامٍ، ورابط كمالٍ يوحّد القلوب.
- ينبغي شدّ أزر الخطأة، وإنعاش ثقتهم. فإبليس يستخدم، عادةً، شدّة بعض الأشخاص وقسوتهم، لكي يُغرق نفوسهم في الاضطراب.

- الرقّة تتحمّل عيوب القريب، وجفاء معاملته، بغية اجتذابه إلى معرفة الله وحبّه، من خلال هذه المراعاة.
- من صفات روح الله العمل برقّةٍ وحبٍّ. والوسيلة المثلى لإنجاح ما نقوم به، هو التمثّل بهذا الروح.
- ألم ينصحْنا يسوع بالتمثّل بوداعته؟ إذن، علينا انتهاجُ درب الوداعة كي نمضي إليه، ونقود إليه الآخرين.
- الرقّة والمودّة هما فضيلتان فائقتا القدرة على اكتساب نفوسٍ لله.
- فلنقرنِ الحزم والثبات بالرقّة، تفاديًا لتنازلاتٍ قد تجرح ضميرًا رقيقًا. ولكن إن لم يكن ما نخشاه، في هذا السياق، فلنؤثر الرقّة لأنّها أقدر وأجدى من الشدّة والصرامة، من أجل التأثير على إرادات البشر.
- اللطف المقترن بالمحبّة هو الوسيلة الأوفر جدوى من أجل التأثير على أذهان البشر، ودفعهم إلى تقبّل الأمور الأكثر تنفيرًا للطبيعة البشريّة.
- يجب أن يكون المرء ودودًا على غير تملّقٍ، فليس أحقر، وأقلّ جدارةً بقلبٍ مسيحيٍّ، وليس أبغض في نظر متيني الورع، من المداهنة والتملّق.

- اللطف يجعلنا نحتمل بعضنا بعضًا، ونتقبّل أقوال الآخرين.
- يجب استخدام المودّة واللطف مع الفقراء، والأشخاص الأكثر تعرّضًا للازدراء، وتجنّب التعامل معهم تعاملًا فوقيًّا قهريًّا، فالتعالي يستدعي الثورةَ والتمرّد، في حين أنّ التعامل بلطفٍ يدفعهم إلى الامتثال وإلى استفادةٍ كبرى من النصائح التي يتلقّونها.
- على الرئيس أن يكون صلبًا على غير قسوةٍ، وأن يتجنّب كلّ وداعةٍ تافهةٍ، لا طائل منها، وعليه أن يعامل مرؤوسيه جميعهم بعذوبةٍ، واحترامٍ، وأن يلجأ، دائمًا، إلى الصلاة، والعبارات الرقيقة، وتفادي الخطاب المتعالي.
- مع أنّه ينبغي مخاطبة الجميع بعباراتٍ يمليها التهذيب، لا يسوغ امتداح أشخاصٍ بحضورهم، إلّا إذا اتّضح أنّ هذا المديح يسهم في دفعهم إلى متابعة أعمالٍ صالحةٍ بدأوها، أو من أجل تشجيع نفوسٍ يقيّدها الخجل.

العفّة

- طهارة الجسد لا تعني، بالضرورة، عفّةً. بل إنّ ما يصنع العفّة هو طهر الفكر، وهو جوهرها وكمالها. فهو يطرد عن الذهن، والذاكرة، والرغبات، كلّ الخواطر الرديئة، ويقتلعها من القلب. وقد أولى ربّنا من الشأن للعفّة، بحيث غيّر نظام الأشياء، وابتغى أن يولدَ من عذراء.
- التواضع هو الوسيلة المثلى للتمرّس بالعفّة. ووسيلة الحفاظ على العفّة هي تجنّب البطالة والفراغ، فالفراغ، في ذاته، شرٌّ مريعٌ... صدّقوني، عندما يعثر إبليس على إنسانٍ بطّالٍ يستطيب امتحانه، ومراودته برذيلة الدنس... ومن المؤكّد أنّ الدأب على العمل يضعف أسر التجارب.
- أُمّ وسائل مكافحة الدنس هي اللجوء إلى ربّنا يسوع، في كلّ مناسبةٍ، وكلّ ساعةٍ، والاستشفاع بطهره وطهر أُمّه العذراء.
- كما أنّ التربة، حتّى إذا كانت خصبةً، إذا أُهملت، ولم تُحرَث وتُزرع، لا تلبث أن تنتج أشواكًا، كذلك النفس المستسلمة للفراغ، ستجتاحها التجارب، وتدفعها إلى الشرّ.

- **كيف يستطيع ممارسة فضيلة العفّة من لا رغبة له إلّا في الملذّات والمتعة، والنشوة؟**
- **العلاجات الأساسيّة لمقاومة ثورات حواسّنا هي:**
  - **صلاةٌ مستمرّةٌ، تواكبها تضحياتٌ كبرى في المأكل والمشرب،**
  - **مواظبةٌ ثابتةٌ على أداء واجبات دعوتنا،**
  - **تواصلٌ صادقٌ مع من يدير قلبنا وروحنا،**
  - **ثقةٌ بنويّةٌ في عون الله، وفي قدرة شفاعة السيّدة العذراء،**

ولكنّ جميع هذه الوسائل لن تجدي نفعًا إن لم ننأَ، في جميع الأحوال، عن المناسبات الخطيرة.

آلامٌ ومِحَنٌ

- الويل لمن لا يسعى إلّا إلى إرضاء ذاته! الويل لمن يهرب من الصلبان، لأنّه سيلقى صلبانًا ترهقه بثقلها.
- من أجل تمجيدنا، يسمح الله، أحيانًا، أن نُشتَم، ونُضطهَد، بلا سببٍ. فهو، بذلك، يجعلنا نتشبّه بابنه الذي قُذِف بافتراءات الفتنة، والطمع، وبسكنى الشيطان فيه.
- كلّما حلّت بنا أحداثٌ غير متوقّعةٍ، مثل أحزانٍ، وأسباب عزاءٍ روحيّةٍ أو جسديّةٍ، فلنتقبّلها بشعورٍ متساوٍ، موقنين أنّ جميعها آتيةٌ من يد الله.
- ليس الإنسان أكثر غنًى ممّا يكون وهو متشبّهٌ بيسوع المسيح.
- إنّ الله يدمغ النفس التي يعدّها لمصيرٍ عظيمٍ، بامتحانها بأحزانٍ تعقبها أحزانٌ، وبمشقّاتٍ تعقبها مشقّاتٌ.
- بمثاله علّمنا يسوع المسيح كم تستطيع الآلامُ تمجيدَ الله، والإسهام في تقديسنا.
- الأحزان هي الدليل الأصدق على حبّ الله لنا.

- إنّ المتألّم من أجل الله هو الأشدّ إرضاءً للجلالة الإلهيّة، بما أنّ ابن الله نفسَه ابتغى أن يُتوِّج حياتَه البطوليّة بآلامٍ من الشدّة بحيث أودت به إلى الموت الشنيع.
- إنّ الموعد الأكثر مناسبةً لقياس تقدّم نفسٍ في مضمار الفضيلة، هو عندما تُصارع التجربة.
- إنّ التسليم بكلّ ما يريده الله، وطول الوقت الذي يريده، هو الدرس الأبلغ الذي يعطيناه ابن الله. ومَن يجيدون حفظه، ويحفرونه في قلوبهم، يحتلّون المرتبة الأولى في مدرسة يسوع المسيح.
- مثلما نتناول أشدّ الأدوية مرارةً، من أجل الحفاظ على صحّة الجسد، علينا أن نتقبّل بطيبة خاطرٍ المشقّات، مهما كانت منفّرةً للطبيعة البشريّة واعتبارها أدويةً جزيلة الجدوى، يستخدمها الله من أجل تطهير نفسنا، وإيصالها إلى الكمال الذي يدعوها إليه.
- إنّ الأحزان التي يرسلها الله لنا، والتي نتقبّلها بتسليمٍ تامٍّ، تمسي لنا نعمًا، وخيراتٍ، بما أنّ التوافق مع مشيئة الله هو ربحٌ أسمى من جميع المغانم الزمنيّة.

- فلنشكر الله ونباركْهُ، كلّما تعرّضنا لمشقّةٍ أثناء قيامنا بعمل محبّةٍ.
- لو استطعنا رؤية الاضطرابات بعيونٍ مسيحيّةٍ حقَّةٍ، ولو تحرّر فكرنا من شعارات العالم، التي تقاوم، مثل سُحُبٍ قاتمةٍ، أشعّة الإيمان، حائلةً دون تسرّب النور الإلهيّ إلى أعماق نفسنا، لكُنّا سعداء جدًّا بما يلحق بنا من افتراءاتٍ، وبأن يُنظر إلينا، ليس فقط كأنّنا بطّالون وعديمو النفع، بل أيضًا، كأنّنا أوغادٌ وفاسدون.
- إنّ الافتراءات والاضطهادات هي نعَمٌ يهبها الله لمن يخدمونه بأمانةٍ. وهي وسائل تستخدمها الحكمة الإلهيّة لكي تكمِل تقديس نفوسنا، ولكي تنتشلها من كلّ ما يحول بها دون الاتّحاد بها اتّحادًا كلّيًّا.
- اعتاد الله امتحان خدّامه، وإصلاح من يحبّهم بعقاباتٍ.
- بقدر ما ينمو حبّ الله في نفسٍ، يتنامى فيها حبّ الآلام والإهانات.
- يرسل لنا الله مشقّاتٍ وأحزانًا، امتحانًا لصبرنا، ولكي يعلّمنا التعاطف مع آلام الآخرين.

- كثيرون هم الذين يقتصرون على الظهور بمظهر البساطة، ويغذّون في داخلهم، مشاعر ساميةً نحو الله. ولكن عندما يتعيّن عليهم أن يحتملوا في سبيل الله متاعب كبرى، وأن يتألّموا، ويضحّوا، وأن يتقبّلوا الأمراض بحبٍّ، وأن يواجهوا الافتراءات والنكبات، ينهارون، ويتبخّر كلّ ما كانوا يعدّونه درعًا.
- قال المخلّص: "طوبى لكم إذا اضطهدكم الناس، وقالوا عنكم كلّ شرٍّ". وإنّها لسعادةٌ كبرى أن نُعامَل كما عومل مخلّصنا يسوع المسيح.
- المرض هو المكان الأمثل لممارسة الإيمان. ففيه يتألّق الرجاء، وفيه يجد حبّ الله، والتسليم لمشيئته، وسائر الفضائل، مساحةً شاسعةً للترسُّخ. وفيه تتّضح صفات كلّ امرئٍ. وهو المعيار الأصدق لسبر عمق فضيلته. وإنّ خادمَ الله الصالح هو مَن يجعل من سرير مرضه عرش استحقاقٍ ومجدٍ. وعلينا، نحن، أن نعدّ إخوتنا في الجمعيّة المبتلين بأمراضٍ، برَكةً للجمعيّة.
- التجارب حدثٌ إيجابيٌّ. ويومٌ مليءٌ بالتجارب خيرٌ من شهرٍ خالٍ منها.

- لا نطلبنَّ من الله أن يمنع عنّا التجارب، بل أن نُحسن الاستفادة منها، وأن يحمينا من السقوط فيها... وأن تتكاثر تجاربنا بقدر ما نتقدّم في الفضيلة، ونشكر الله عنها.
- يختبر الله نفوسًا بحالاتٍ صعبةٍ، وبأفكارٍ سوداء بشعةٍ، وبنوبات يأسٍ، كي ينمّيها في الفضيلة.
- الدليل القاطع على اختيار الله نفسًا، لغاياتٍ ساميةٍ، هو عندما يضيف إلى أحزانها أحزانًا، وإلى جفافها جفافًا.
- ما من إنسانٍ، في العالم، لا يشكو من وضعه، حتّى إذا بدا هنيًّا. وإنّما الوضع الأمثل هو الذي يجعلنا شبيهين بربِّنا، معرَّضين للتجارب، دائبين على الصلاة، عاملين ومتألّمين.
- الحياة كفاحٌ، والكفاح وقايةٌ من الهزيمة. والله لا يسمح بأن نُجرَّب بما يفوق طاقاتنا.
- يرتكب خطأً جسيمًا من لا يصبر على الأمراض التي يُمنى بها.
- ليست الأمراض شرورًا نخشاها، بل هي وسائل جزيلة الجدوى من أجل تقديسنا. وما التذمّر عندما يمتحننا الله بها إلّا اعتراضٌ على الخير الذي يُنعم به علينا.

- إنّنا نحاكي صخرةً، يُراد أن يُصنَع منها تمثالٌ. فما الذي يفعله المثّال، في هذا السبيل؟ إنّه يتناول مطرقةً، ويزيح بها عن الصخرة كلّ نتوآتها، بطَرقاتٍ قويّةٍ، ولكأنّه يبتغي تفتيتها. وبعدئذٍ يعمل بمطرقةٍ صغيرةٍ، ثمّ بإزميلٍ، ويشرع في إظهار الشكل، بجميع تفاصيله، وأخيرًا، يستخدم أدواتٍ صغيرةً دقيقةً كي يصقل التمثال، ويوصله إلى الكمال.

هكذا يعمل الله بنا. فالمرسَل، أو بنت المحبّة، يبدوان، في البدء حَجَرةً خشنةً، ويريد الله أن يبتدع منها تمثالًا جميلًا، فيُعمل فيها مطرقته بقسوةٍ، ويمتحنها بأقسى المشقّات، ويبدو أنّ المرسل أو الأُخت يتألّمان. ولكن مَن يتحقّق من غرض الله يتبيّن أنّ ضربات إزميل الله تُكمِل شكلًا رائعًا. وما المِحَن الجسديّة والروحيّة إلّا وسيلةٌ لإزالة خشونة النفس بفضل ممارستها الصبر، حيالها.

- في حالة المرض علينا استخدام العلاجات التي أُثبتت صلاحيّتها للشفاء، وتسبيح الله الذي خلق شتّى النباتات، ومنحها القدرة الشفائيّة. ولكن يجب تجنّب الإشفاق المفرط على ذواتنا، والسعي إلى تخفيف أدنى وجعٍ قد ينتابنا.

- لم يأتِ ابن الله إلى العالم فقط كي يخلّصنا بموته، بل لكي يحقّق كلّ مرامي أبيه، ولكي يجتذبنا إليه بمثاله... فقد وُلد خارج بلدته، في قسوة الشتاء، وفي فقرٍ مدقعٍ. وهربًا من اضطهاد هيرودس اضطرّ إلى المنفى متحمّلًا منغّصات الغربة والتشرّد، والتعاطف مع المصاعب التي تحمّلتها أُمّه العذراء، وتحمّلها يوسف، من أجل إنقاذه. ولمّا عاد إلى الناصرة عاش في الخفاء، كي يكون قدوةً للمدعوّين إلى الحياة الخفيّة.
- الأمراض تطهّر النفس، وهي وسيلةٌ فعّالةٌ من أجل تذكيرنا بالفضيلة التي غفلنا عنها، وهي تشرّع للمرضى حقلًا رحبًا لممارسة الإيمان، والرجاء، والخضوع لمشيئة الله، وسائر الفضائل.
- عندما نعتلّ نعرف ذواتنا أفضل ممّا نعرفها، ونحن ننعم بالعافية... وما أسعدنا، إذا تمكنّا من اكتشاف الكنز المخفيّ في الأمراض!
- أنأبى الأسقام الجسديّة عندما يمتحننا الله بها؟ أنرفض سعادته؟ أوليست الآلام مدعاة سعادةٍ لأنّها تقدّس النفس؟
- عندما يحرم الله إنسانًا من قواه الجسديّة، يبتغي إعلامه أنّه اختار وسائل أُخرى من أجل تحقيق مراميه.

- **الوضع المَرَضيّ مزعجٌ، وقد لا تطيقه الطبيعة البشريّة. غير أنّه أحد أقدر وسائل الله في إدخالنا إلى الواجب، وانتزاعنا من ميولنا السيّئة، وإغداق نعمه علينا.**

من صلواته

- "هبني، يا إلهي، نعمة التألّم، وأنا أحبّك، ونعمة حبّك وأنا أتألّم. أُحبُّك، يا مخلّصي لأنّك صُلبتَ من أجلي، وأُحبّكَ، يا إلهي، لأنّك تصلبني في هذه الدنيا، من أجلك...
هَبني نعمةَ الموت، وأنا أُحبّكَ، شاعرًا بحبّي لك...

* * *

"يا إلهي، أهبك قلبي، كما هو.
وحبًّا بك أعبد قرارات عنايتك الأبديّة.
أيّها العطف الأسمى، الذي يريد أن يحبّه الخطأة،
هَبني أن أُحبَّكَ، وحينئذٍ اقتضِ منّي ما تشاء..."

- صلاةٌ من أجل جمعيّة الرسالة

"يا مخلّصي، لقد انتظرتَ ١٦٠٠ سنةٍ، من أجل استنهاض جمعيّةٍ تلتزم، علنًا، بمواصلة العمل الذي أوكلَه إليك الآب، على الأرض، جمعيّةٍ تستخدم الوسائل عينها التي استخدمتَها، ناذرةً الفقر، والعفّة، والطاعة. يا مخلّصي، لم أُقدّم، بعدُ، لك الشكر عن ذلك. وها إنّي الآن أشكرك، باسم

جميع الحاضرين والغائبين. فقد أعددتنا لهذه المهمّة، في مراميك الأزليّة، فأعنّا على أن نقوم بها خير قيامٍ بنعمتك المقدّسة. ولكن مَن هم هؤلاء الذين تستخدمهم، يا مخلّصَ نفوسنا، من أجل ردّ العالم إليك، ومواصلة رسالتك؟ يا لضآلتنا، ويا لدواعي خجلنا!

يا ربّ، هَبنا نعمة أن نكون جديرين بهذه المهمّة، وبدعوتنا، وهَبنا القدرة على مكافحة الرغبة في متاع الدنيا ومُتَعها، وأمجادها، بممارستنا الفقر، والعفّة، والطاعة، وامتشاقنا، دائمًا، سلاح التضحية الماضي، كي نتغلّب على هذه كلّها، ونكون للأجيال القادمة مثالًا وقدوةً".

المصادر

- Saint Vincent de Paul: Une pensée par jour
  Ed. Clovis, 2006

- Françoise Bouchard:
  Paroles et esprit de Saint Vincent de Paul
  Ed . Salvator, 2016

الفهرس

تمهيدٌ ٥
باقاتٌ روحيّةٌ ١٧
إيمانٌ ١٩
الصلاة ٢١
خشوعٌ ٣٠
التقدّم الروحيّ ٣٢
التضحية ٣٤
عرفانٌ بالجميل ٣٦
الثقة بالله ٣٧
التوافق مع مشيئة الله ٤٠
حبّ الله والقريب ٤٥
الإحسان إلى القريب ٤٩
موقف تسليمٍ ومساواةٍ وسكينةٍ حيالَ الأفراح والشدائد على السواء ٥٢
الكهنوت ٥٦
غيرةٌ رسوليّةٌ ٦٢

الوعظ..... ٦٦
التواضع ٦٩
الكبرياء..... ٧٦
الصبر ٧٨
الفطنة ٨٠
المثابرة ٨٤
الفقر ٨٦
السيّدة الفقر ٩٣
تجرّدٌ..... ٩٥
البساطة ٩٦
وداعةٌ، ورقّةٌ، ولطفٌ..... ٩٩
العفّة ١٠٣
آلامٌ ومِحَنٌ..... ١٠٥
من صلواته ١١٣
المصادر..... ١١٥
الفهرس ١١٧

المطبعة البولسيّة
جونيه – لبنان